



سینا
المنشر

د. شحاتہ صیام

العنف والخطاب الديني في مصر

بعضواً ونفسه
ونفسه بعضواً

العنف والخطاب الديني
في مصر

الكتاب : العنف والخطاب الدينى

فى مصر

الكاتب : د. شحاته صيام

الطبعة الثانية ١٩٩٤

جميع الحقوق محفوظة

الناشر : سينا للنشر

المدير المسئول : روية عبد العظيم

١٨ ش ضريح سعد - القصر العينى -

القاهرة - جمهورية مصر العربية -

تليفون / فاكس : ٢٥٤٧١٧٨ / ٢٠٢ .

الغلاف : منير الشعراني

الاخراج الداخلى : ايناس حسني

المصنف : سينا للنشر

د. شحاتة صيگام

العنف والخطاب الديني في مصر



إهداء

إلى مصر

دامت ووقاها الله الشرور

«..... إن ما يُسمى بالحروب الدينية في القرن السادس عشر..
تعدُّ في الوقت ذاته نوعاً من النضالات الطبقيّة....»

تهديد:

تُعدُّ ظاهرة العنف من الظواهر القديمة التي ارتبطت ببدايات التاريخ. أو بقول آخر، لقد ارتبط العنف بقصة نشأة الكون، كما وُجدت في الأساطير والخرافات. وإذا كان العنف قديماً قد ارتبط بوجود أفراد، أو حتى جماعات متصارعة، فإنه في الوقت الحاضر أخذ يتستر وراء مؤسسات أو أيديولوجيات تكتسب قبولاً واضحاً في المجتمع، الأمر الذي جعله وسيلة مستحدثة للصراع الاجتماعي في إطار الواقع المعاش.

لقد شهدت المجتمعات الإنسانية في مختلف مراحل تطورها كوكبة من أنماط العنف، الأمر الذي يدفعنا إلى القول إن العنف كان - ولا يزال - يمثل أحد المكونات الرئيسية لتطور السياق التاريخي للبشرية. إن الوقائع التاريخية تدلُّنا على أن العنف يعدُّ وسيلة من وسائل الصراع الأيديولوجي، سواء بين الدولة والجماعات السياسية التي تهاجم شرعيتها، أو بين جماعات سياسية وبعضها يفرض فرض إحداها سيطرتها، أو تكريس كينونتها على صعيد الواقع السياسي.

إن استخدام العنف يعدُّ استخداماً محسوباً من أجل الوصول إلى أهدافٍ سياسيةٍ أو دينيةٍ أو أيديولوجية. أو بمعنى آخر، إنه ما يصدر عن «الجماعات النائية» التي تنوب عن الجماهير في تصعيدها للعنف أو التمرد، لإزاحة النظام الحاكم، واحتواء الواقع الاجتماعى من خلال رؤية نظرية محددة.

وإذا كان المجتمع المصرى طوال تاريخه الألفى ، قد عرف مجموعةً من صور العنف المختلفة، فإنه اليوم يشهد تعاظم هذه الظاهرة التي تتمظهر فى تصاعد موجات العنف الدينى. لقد أضحى العنف الدينى فى هذه الآونة ظاهرةً «جداً» خطيرة، إذ راح ضحيته نَفراً ليس قليلاً، سواء على صعيد الجهات الأمنية، أو على صعيد الجماهير، أو حتى على صعيد أفراد الجماعات الدينية الممارسة للعنف.

لقد مُنى المجتمع المصرى نتيجةً لتنامى هذه الظاهرة بالعديد من الخسائر المادية والمعنوية، تلك التي عبّرت عنها بوضوح الأحداث الأخيرة لضرب السياحة، واغتيال ضباط الشرطة والوزراء. إن المتتبع لأحداث العنف الدينى، منذ عام ١٩٨١ حتى عام ١٩٩١، يستطيع أن يستدل على مجموعةٍ من الأحداث العنيفة والمتلاحقة التي أتت بها الحركة الدينية على الساحة المصرية. ويقول آخر، لقد شهد المجتمع المصرى فى الفترة الأخيرة - أى منذ بداية ولاية الرئيس مبارك - مجموعةً من أعمال العنف، تلك التي راح ضحيتها نحو ٤٥٠ قتيلاً، وحوالى ١٠٥٠ مصاباً. إن متابعة أحداث العنف الدينى - السياسى، خاصةً فى العام الأخير (أى من يوليو ١٩٩٢ حتى

يوليو ١٩٩٣) ، يستطيع أن يكشف عن حدوث نحو ٢٣٩ حادثاً، بينما بلغ حجم الحوادث منذ عام ١٩٨٦ حتى عام ١٩٩٠ نحو ٤٥ حادثاً .

وحرى بنا أن نشير إلى أن تزايد أحداث العنف التي شهدتها المجتمع المصري أخيراً، يعد نتيجة حاسمة للمواجهة بين ما يُسمى بالعنف الرسمي (الدولة) والعنف غير الرسمي (الجماعات الإسلامية) . وإذا كان العنف الرسمي يتمثل في عمليات الاعتقال، وأحكام وأوامر الإعدام، والأحكام بالحبس، والملاحقة والمطاردة، والسجن والجلد، فإن نظيره غير الرسمي يتمثل في محاولات الاختطاف، والاغتيال، والشغب، والتمردات، والتظاهر، والتخريب، والتصفية الجسدية، والاعتداء المسلح، والاختراق والإغارة والكمائن. إن العنف الذي يعيشه المجتمع المصري بين رعاياه الآن، ما هو إلا رد فعل على العنف المؤسسي الذي تصنعه الدولة وتنفذه.

إن حوادث العنف التي تصدر عن الجماعات الدينية تكشف عن تسييس واضح للدين. إن صدور سلسلة أعمال العنف بالغة الحدة ضد السلطة ورموزها، تعد في تصورنا نوعاً مما يسمى بإعادة إنتاج الصراع الاجتماعي Reproduction of social conflict، تلك التي تسمح ببروز وتنامي وصياغة الوعي الاجتماعي لجماعة مناهضة ورافضة لمعايير وأسس النظام القائم وفق رؤية دينية محددة .

إن إعادة إنتاج الصراع الاجتماعي من خلال المواجهة بين الدولة والجماعات الإسلامية، أو ما نسميه هنا «بالجماعات النائية» ، يعد نوعاً من الصراع الطبقي - الاجتماعي في إطار مجتمع قهري - سلطوي، يسعى إلى إزاحة الأولى من خلال الثانية. أو يقول آخر، إن الأولى - أقصد الدولة

- تسعى إلى تأييد سيطرتها من خلال القضاء على الثانية - أقصد الجماعات الإسلامية - التي تسعى إلى دحض مشروعيتها. ويجدر أن نشير في هذا الإطار إلى أن العنف الذي يصدر عن الجماعات النائية، ما هو إلا عنف قطاعي، وليس بالجملة (الثورة)، الأمر الذي يجعلنا نصوره بأنه عنف ناقص، أو هو بالأحرى نوع من القصاص ضد الدولة ورموزها، وتحول من الوعظ والكلمة إلى البارود .

مقدمة

نظرية ومنهجية

مقدمة:

تحتل قضية الدين موقعاً متميزاً على صعيدى الفكر والممارسة فى المجتمعات الإنسانية. إن تناول الدين بالدراسة والبحث لا يعنى أننا سنتناول العقيدة أو الإيمان المطلق بالغيبيات. إننا سوف نهتم كل الاهتمام بمختلف أنواع الوعى والممارسات الاجتماعية، وبشكل خاص فى مضمار السلطة والنظام الاجتماعى. ومن المهم أن نوضح أن ثمة تعسفاً حينما نفصل بين العقيدة الدينية والتجليات والممارسات العملية، لأن كلا منهما وجهان ومظهران لعملة واحدة، ألا وهى الصراع الطبقي الاجتماعى. فالسياسة ترتكن على الدين وتأخذ منه سنداً وجدانياً وأخلاقياً لايدولوجيتها الاجتماعية التى تعمل من أجل تأييدها وسيطرتها، كذلك يستند الدين على السياسة، ويعتبرها آلية لنشر مقولاته وتدعيم وجوده. لذا يمكن القول، إن الدين هو روح الممارسة، كما أن الممارسة تعد بمثابة جسد الدين.

إن تناولنا هنا للدين لا يعنى أننا نستخدمه وفق معناه المقدس (*).

(*) ثمة تباينات واضحة بين ما هو مقدس Holy وبين ما هو غير ذلك. كما أن هذه القداسة تختلف من شعب إلى آخر. والواقع أن الشئ الموصوف بالقداسة ليس هو فى ذاته، ولكن طبيعة المشاعر والاتجاهات هى التى يُخلع عليها صفة التقديس. لذا يمكن القول إن التقديس هو اتجاه عقلى انفعالى، وهو الذى يجعلنا نميز بين ما هو مقدس وما هو بون ذلك. فالمقدس هو الشئ المفضل لدى الجماعات الإنسانية بون النظر إلى النفع =

بقدر ما نتناوله كظاهرة لتسييس الدين، واعتباره حركةً اجتماعيةً تعبر عنها مجموعات منظمة. فإذا كان الدين يعدُّ أحد العناصر الرئيسية في إثارة الحركات الاجتماعية التي تسعى إلى تحقيق إنجازات معنوية، فإن تسييس الدين يمثل استجابةً لدلالات أيديولوجية، وظروف اجتماعية واقتصادية وسياسية على الصعيدين المحلي والعالمي. إن الجماعات الإسلامية التي تطرح نفسها على صعيد الواقع الاجتماعي، خرجت علينا بمجموعةٍ من المفاهيم، أبرزها الصحوة الإسلامية، وحركة التجديد الإسلامي، والانبعاث الإسلامي والنهضة الإسلامية(*) .

ويهمُّ أن نشير إلى أن الجماعات الدينية التي تعدُّ في الآونة الأخيرة من الظواهر المثيرة للانتباه، لها تأثير ديني واجتماعي على المجتمع في

= الذاتى. وهو في الوقت نفسه لا يتم عن طريق التجربة الحسية، ويفلف ببعض الاهتمام والتقديس. وفي هذا الإطار ينبغى أن نثقف بين ما هو مرئى وما هو غير مرئى في التقديس. فإذا كان المرئى أو الملموس أو المادى يعتمد على الحس، فهناك المقدس غير المرئى الذى لا يعتمد على الحس، ولكن يعتمد على المشاعر. أى يصبح مكان التقديس هو العقل لا التفكير العلمى. انظر : محمد أحمد بيومى، علم الاجتماع الدينى، دار المعرفة الجامعية، الطبعة الأولى، الإسكندرية ١٩٨١، ص ٣٠٠ .

(*) يعدُّ مفهوم الصحوة الإسلامية من المفاهيم الحديثة التي أطلقتها الجماعات الدينية للتدليل على ما تضطلع به من أجل الإتيان بالدولة الإسلامية. إن الجماعات الإسلامية التي تعمل في ميدان الصحوة الإسلامية أو الانبعاث الإسلامى... إلخ من المسميات، تحاول أن تضيف على نفسها مصطلح الثورة الإسلامية باعتبار أن النضال والجهاد من الأعمال الثورية. ولما كان مفهوم الثورة الإسلامية يجعل هذه الجماعات عرضةً للمساطة القانونية حيث تغيير نظام الحكم بالقوة، لذا فإنها دائماً ما تحاول التعامل مع مصطلحات الصحوة أو الانبعاث أو النهضة الإسلامية. =

الوقت ذاته. فيبد أن طابع ووظيفة هذه الجماعات يعدُّ عاملاً مؤثراً في الواقع الاجتماعي، فإنها تبتعد عن الاهتمام الديني الجاد، إذ تأخذ من الصراع طريقاً لنقد النظام القائم، ومن ثمَّ تغيير المجتمع. فإذا كان الصراع هو تروم الحركة الاجتماعية، فإن الصراع هو رفيق ومتمم نشاط الجماعات الدينية (١).

لقد استبدلت الجماعات الدينية الصراع الطبقي بالدين، كما أنها في سبيل ذلك تترتكز إلى الأفكار السلفية، وتكون الأخيرة بمثابة وسيلة ناجزة لتغيب الواقع. وبناءً على ذلك يمكن القول إن هذه الجماعات منحت الأولوية للعامل الأيديولوجي الديني في مجتمع تستند أسسه بشكل كامل على الدين، ولم تتطور فيه أنماط الإنتاج وأدواته بحيث تفرز وعياً طبقياً كاملاً، الأمر الذي جعل الصراع يطفئ عليه الشكل الأيديولوجي الديني (٢).

ومن الأهمية بمكان أن نشير هنا إلى أنه كما تتباين السياسات، تتباين أيضاً الممارسات والتجليات الدينية، فهناك من يدافع عن السلطة

= حول هذه التسميات يمكن الرجوع إلى :

— محمد أحمد خلف الله : «الصحوة الإسلامية في مصر»، في : إسماعيل هبري عبد الله «محرراً»، الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى ، بيروت، ١٩٨٧ .

— رفيق حبيب، الإحياء الديني : ملف اجتماعي للتيارات المسيحية والإسلامية في مصر، الدار العربية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٩١ .

(١) رفيق حبيب، الاحتجاج الديني والصراع الطبقي في مصر، دار سينما للنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٨٩ .

(٢) مهدي عامل، نقد الفكر اليومي، دار الغازي، بيروت ١٩٧٨، ص ١٠٩ - ١١١ .

الحاكمة القائمة، وهناك من يبرر هذه السياسات، بل قد يكون شريكاً في السلطة ذاتها. وأيضاً نجد ممارسات دينية ضد السلطة القائمة وتسعى إلى دحض مشروعيتها، وإقامة سلطة أخرى غيرها^(١).

وجدير بالتوضيح أن ثمة تعدداً في تأويل الدين، كما أن هذا التأويل يمثل تنوعاً في القوى الاجتماعية التي تمارسه. إن هذا الاختلاف والتنوع يخلق قراءات متباينة للصراع الاجتماعي. إن الإسلام يتعدد بتعدد تياراته، وتباين الأوضاع الاجتماعية والموقع في العملية الإنتاجية^(٢).

وتأسيساً على ذلك يمكن أن نقيم تفرقة بين ثلاثة تيارات رئيسية في داخل هذه الجماعات، تلك التي تتمظهر فيما يلي :

أولاً - التيار السلفي المحافظ : ويسعى إلى بعث سيرة السلف والتراث ونهج النص كما هو، ويسعى على مستوى الخطاب الديني الأصولي أن ينشد مجتمعاً تقليدياً يقف أمام عمليات التحديث. ولكن بقدر وقوفه أمام عملية التحديث، فإنه أيضاً لا يسعى إلى التغيير .

ثانياً - تيار التغيير والتبديل : وهو يسعى إلى تبديل المجتمع بصورة شاملة من خلال العقيدة بهدف إيجاد المجتمع الإسلامي القائم على الأسس الدينية. إن تبديل المجتمع لا يعنى التدخل من أجل إنهاء المجتمع القائم واستبداله بأخر إسلامي، وإنما يستند هذا التيار إلى ضرورة الركون إلى ما

(١) محمود أمين العالم «الدين والسياسة»، في : قضايا فكرية، الكتاب الثامن، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، أكتوبر ١٩٨٩، ص ١ .

(٢) مهدي عامل، نقد الفكر اليومي...، مرجع سابق، ص ٢٤١ .

يسمى بالحتمية العقائدية التي من شأنها أن تستبدل هذا المجتمع. بمعنى آخر، إنها تستند إلى قوى ميتافيزيقية غيبية لتبديل هذا المجتمع دون تدخل فيها.

ثالثاً - التيار الجهادي : وهو تيار يعمل على التفسير الجذري من خلال الفكر والممارسة السياسية، ويعمل هذا التيار على تحقيق الانقلاب السياسي من خلال جماعة جهادية تنشق عن الواقع وتسعى إلى تثويره من أجل الوصول إلى السلطة. إن هذا التيار يطرح مشروعاً إسلامياً يسعى إلى تحقيقه من خلال الثورة الشعبية (١) .

إن الواقع المعاش يشهد على تزايد ظاهرة الحركات الاجتماعية الدينية كجزء من القوى الفاعلة لتبديل النظام الاجتماعي القائم؛ فالحركات الاجتماعية الدينية تعدُّ إحدى جماعات الضغط (غير الرسمية) في المجتمع.. إن صعود ما يسمى بالحركات الدينية يأتي دائماً من تعاظم الفجوة بين الاحتياجات الاجتماعية للجماهير وقدرة النظام الاجتماعي على تلبية هذه الاحتياجات. إن عجز النظام الاجتماعي القائم عن تلبية مثل هذه الاحتياجات الاجتماعية يجعل من هذه الحركات أحد الآليات التي تسعى إلى استبدال المجتمع بآخر (٢) .

ومن هنا فإن الجماعات الإسلامية يتعاظم دورها أو تتنامى في المجتمعات التي تدبُّ في جسدها مظاهر الضعف والاهتزاز، تلك التي تفقد

(١) هناك طرح آخر لتيارات الإحياء الإسلامي نجده في :

رفيق حبيب، الإحياء الديني...، مرجع سابق، ص ١٠-١١.

(٢) رفيق حبيب، المرجع نفسه، ص ٧ .

الكثير من إرادتها المستقلة ومن قدراتها، وأصبحت تعيش مجموعة من التناقضات الحادة على الأصعدة السياسية (بين الدولة والمجتمع) والاجتماعية (اتساع الفوارق الطبقية) والثقافية (التباين في مستويات اللغة وطرق الحياة والتفكير والطائفية). إن نشوء الجماعات الإسلامية ما هو إلا رد فعل لكل هذه التناقضات الداخلية، ناهيك عن التناقضات الخارجية المتمثلة في مسائل التَّبعية، وفشل كل الحلول المستوردة على المستوى التنموي^(١).

وبناءً على ما سبق يمكن الدفع بأن الجماعات الدينية ليست مجرد حركة دينية، وليست طائفة، ولا هي مدرسة كلامية أو مذهبية، إنها أقرب إلى (الجماعة - الحزب) أو (الظاهرة - التنظيم)، فهي ليست مجرد تشكيل سياسي يسعى إلى استحواذ السلطة، وإنما هي قراءة سلفية للدين، ونمط من التربية والتنظيم تدعو إلى ولادة جديدة - قديمة، توحى بالقطع مع السائد، وتعيد للذاكرة معالم المعجزات الكبرى في التاريخ^(٢).

إن الجماعات الدينية وفق حركتها تعدُّ حركة ذات حنينٍ للماضي

(١) صلاح الجورش، «الحركة الإسلامية : مستقبلها وهين التغيرات الجذرية»، في : عبد الله النفيسي (محرراً)، الحركة الإسلامية : رؤية مستقبلية.. أوراق النقد الذاتي، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٩، ص ١٢٤. وأيضاً : هشام شرابي، البنية البطركية : بحث في المجتمع العربي المعاصر، دار الطليعة، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٧، ص ١٢٤.

(٢) محمود أبو السعود «مشكلة المدالولات والقيادات»، في : عبد الله النفيسي (محرراً)، الحركة الإسلامية... مرجع سابق ص ٢٥٦، وأيضاً : الجورش، المرجع السابق ص ١٢٦.

تسمى إلى الهروب من المجتمع، أو الانسحاب من عذابات الحاضر إلى أمجاد الماضي. لذا فإننا نرى أنها حركة جهادية ثورية تسمى إلى إعادة تنظيم المجتمع وفق رؤية سلفية «ماضوية» مستندة إلى الأصول والسلف (١).
لقد برزت الجماعات الإسلامية كحركة أصولية (٢)، يتمحور همها في التحرير والخلاص، وكأيديولوجية للطبقات الوسطى والدنيا. ومع أن الحركة الأصولية الإسلامية تعبر عن مشاعر الجماهير المسحوقة، إلا أنها لا تُعدُّ حركةً دينيةً بالمعنى الواسع للمفهوم مثل الحركات الإسلامية التقليدية كالوهابية والسنوسية والمهدية، خاصة إذا ما أضفنا إليها طابعها الأيديولوجي. لذا يمكن فهم الحركة الأصولية على أنها تعبير عن واقع اجتماعي، ونتاج مرحلة تاريخية يسعى إلى تطهير المجتمع أو تدمير المجتمع الفاسد أو البطركي، والعودة إلى الذات الإسلامية الأصلية.

(١) على ليلة، الشباب في مجتمع متغير : تأملات في ظواهر الإحياء والضعف، مكتبة الحرية الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩٠، ص ١٩ .

(٢) يتناول المهتمون بالظاهرة الدينية مفهوم الأصولية Fundamentalism ليشيروا إلى ظاهرة الإسلام السياسي التي تعنى انتشار الدين كظاهرة في مجال العمل السياسي والثقافي، وهي تعنى إضفاء صفة الإسلام على الحركة الأصولية التي تشير إلى معاني التزمّت والتعصّب والرجعية. وهناك من يشير إلى ترادف مفهوم الأصولية مع مفهوم المحافظة Conservative . في ذلك يمكن الرجوع إلى : حيدر إبراهيم علي، أزمة الإسلام السياسي : الجبهة الإسلامية القومية في السودان نموذجاً، مركز البحوث العربية، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩١، ص ١٧. وأيضاً :

Dekmejian R . H . , Islam in Revolution : Fundamentalism in the Arab World, Syracuse univ . press, 1992 .

إن الجماعات الإسلامية كحركة أصولية تطرح نفسها كبديل عن الرأسمالية والاشتراكية والقومية والعلمانية. إنها تطرح ذاتها باعتبارها الآلية الوحيدة لخلاص المجتمع، وتحوله من الشكل البطرقي إلى الشكل الإسلامي.

وفي إطار ذلك يمكن القول إن الطبقات الوسطى والدنيا تعتبر «المخزن الاستراتيجي» الذي يمدُّ الجماعات الإسلامية بالفاعل الاجتماعي. إن الطبقة الوسطى باعتبارها الإطار الأخلاقي العام للمجتمع، فإنها تمثل ذخيرة الجماعات الإسلامية ومُؤنِّها الرئيسي بالفاعلين الاجتماعيين. فعلى الرغم من أن الطبقة الوسطى هي التي بدأت بالسفور في الماضي، نجدها في الوقت الحاضر هي التي انتشر بين أوساطها الحجاب مرةً أخرى، وهي أيضاً التي ينتمى إليها الآن معظم أعضاء الجماعات الإسلامية .

والواقع أن ذلك يعود - في تصورنا - إلى أن الطبقة الوسطى تعدُّ من أوَّل الطبقات التي يستشعر أفرادها بالأزمة المجتمعية التي يخبرها الواقع القائم، وبالتالي يصاب أفرادها بالإحباط والحرمان وعدم إشباع احتياجاتهم الأساسية. إن تأييد قطاع واسع من أعضاء الطبقات الوسطى والدنيا للجماعات الإسلامية يعدُّ إحدى صيغ الصراع الطبقي الذي ربَّما يمارس بدون وعي أو فهم جيد، لذا فهي تعدُّ إحدى صيغه ولكن ذات وشاح ديني^(١) .

إن انبعاث الجماعات الإسلامية كحركة على الصعيد السياسي يعبر

(١) على ليلة، الشباب في مجتمع متغير..... مرجع سابق ص ٢٧٩ .

بوضوح عن الأزمة المجتمعية التي يشهدها الواقع المصري، تلك التي تعبر عن تناقضات وإخفاقات نمط إنتاج الدولة أو ما يسمى بالدولتية^(١). إن أفكار الجماعة الإسلامية تسعى إلى إعادة تشكيل الواقع الاجتماعي، وتتضمن تصوراً مثالياً للمجتمع المنشود، ناهيك عن طبيعة وتشكل العلاقة بالمجتمع. وفي إطار ذلك يمكننا عرض أهم قضاياها، تلك التي تتمحور حول :

أولاً : تسعى الجماعات الإسلامية إلى ضرورة أن تكون الصفوة الإسلامية بكامل هيئتها من المسلمين، أما غير المسلمين فلا يحق لهم إلا أن يكونوا أعضاء بالمجتمع فحسب، وليس لهم إلا الحقوق والحريات ولهم الحماية.

ثانياً : ينبغي أن تكون الشريعة الإسلامية مصدراً رئيسياً لكل قوانين الدولة الإسلامية، فلا يجب الفصل بين السلطات التشريعية وبين الشريعة الإسلامية.

ثالثاً : تستند أفكار الجماعات الإسلامية في حل قضية الخلافة الإسلامية والحاكمية إلى كتابات ابن تيمية، وتتلخص هذه الأفكار في أن الحكومة الإسلامية تكتسب شرعيتها وقوتها من خلال التزامها بالشريعة الإسلامية، وأن الحاكمية لله ورسوله .

(١) يشير تعبير الدولتية Statism أو الدولانية إلى تركيز السلطة الاقتصادية والتخطيط الاقتصادي في يد الدولة، ذلك النوع الذي دائماً ما يشار إليه بنمط إنتاج الدولة أو رأسمالية الدولة. حول هذا المفهوم انظر :

شحاتة صيام، التشكيلية الطبقيّة في المجتمع المصري : رؤية سوسيولوجية تاريخية، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩٢، ص ١٧٠ .

رابعاً : ترى الجماعات الإسلامية أن الإسلام هو المصدر الرئيسى لتضامن الدولة الواحدة، كما أنه وسيلة لتضامن الدول الإسلامية. ومن الممكن أن تصبح المصادر الأخرى للتضامن مشروعة، ولكن بشرط ألا تزيد على الإسلام كمصدر من حيث الأهمية والوزن. وبالنسبة للعلاقة بالدول غير الإسلامية، فنرى أنه يجب أن تكون فى صالح المجتمع المسلم أولاً. (١)

وفى إطار ما سبق يمكن التمييز بين نوعين من الجماعات الإسلامية، إحداهما تميل إلى رفض المجتمع والانعزال عنه وتكوين مجتمع بديل، والأخرى ترفض المجتمع وتواجهه. إن الأولى تسعى إلى الانعزال عن المجتمع والتفوق داخل خصوصيتها، وتنتظر وجود واقع بديل، أما الأخرى فتسعى إلى مجابهة المجتمع والانخراط فى الصراع السياسى مستخدمة فى ذلك كل صور العنف. إن الفرق بين الأولى والثانية أن الثانية لا تقف عند حدود النظر إلى إيجاد مجتمع جديد فحسب، بل تسعى إلى سيادة البديل الذى تسعى إليه عن طريق العنف والثورة (*).

(١) على ليلة، الشباب فى مجتمع متغير....، مرجع سابق ص ٤ .

(*) يعتبر العنف خاصيةً مشتركةً بين الحكم العسكرى والجماعات الأصولية الإسلامية. والواقع أن العنف لدى كلٍّ من الطرازين ليس شكلاً مستحدثاً أو طارئاً، وإنما هو حقيقة تلتصق بسلوكيات كل منهما. وانظر فى ذلك :

— فؤاد زكريا، الحقيقة والوهم فى الحركات الإسلامية المعاصرة، فكر للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٨٦.

— شحاتة صيام، العسكريون وبيروقراطية الدولة فى مصر ١٩٥٢ - ١٩٧٠، المنار

(مجلة) - القاهرة - سبتمبر ١٩٨٩ .

وينبغي أن نشير هنا إلى أن العنف ليس ظاهرةً مستحدثةً أو طارئةً على هذه الجماعات الأصولية الدينية، وإنما هو شئٌ ينتمى إلى تركيبها ذاته، وهو جزء لا يتجزأ من تكوينها الذهني والنفسي، وهو وسيلتها الوحيدة لتحقيق أهدافها. إن العنف الديني الذي جاء من خلال الجماعات الإسلامية، هو ما يطلقون عليه في خطابهم «الجهاد»، تلك الفريضة التي أخذت مساحةً تقديسية، وتعتبر رد فعل طبيعي ضد موجة الاضطهاد. إن العنف «المقدس» باسم الدين، أو قل «الجهاد» يعتبر أحد صيغ الصراع الطبقي (*).

لقد أضحى العنف الديني مثاراً للجدل والنقاش والبحث. لذا نجد أن مخرجات الدراسات التي تناولته تعددت بتعدد التوجهات النظرية والأيدولوجية، وكذا التخصصات. فعلى سبيل المثال نجد أن البعض يرى أن هذه الظاهرة تعود إلى غياب الديمقراطية، والقطيعة بين السلطة والجمهير،

(*) إن صور العنف الصادرة عن الجماعات الإسلامية هي المسئولة عن جعل الجهاز الأمني في مصر، ومن ثم بعض المفكرين، أن يسموا هذه الجماعات بالتطرف. حول هذا المفهوم وأبعاده، انظر :

- سمير نعيم أحمد، المحددات الاقتصادية والاجتماعية للتطرف الديني: حالة مصر، المستقبل العربي (مجلة) العدد ١٢١، بيروت ١٩٩٠، ص ١١١.

- سعد الدين إبراهيم، مصر تراجع نفسها، دار المستقبل العربي، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٣ .

- زكي على الربيعو، مدخل إلى ظاهرة العنف في الخطاب السياسي السلطوي، الوحدة (مجلة) السنة السابعة، العدد ٨١، يونيو ١٩٩١ .

- محمد أحمد بيومي، ظاهرة التطرف : الأسباب واعصلاح، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٢ .

وتفسخ العقد الاجتماعي بينهما. وآخرون يرون أن العنف الديني يرجع إلى ما يشهده المجتمع من اختلالات هيكلية وأزمة اقتصادية. كما أن هناك من يرى أن ذلك يعود إلى افتقاد المجتمع إلى المشروع القومي، وغياب الهدف المجتمعي العام، وسيادة ما يسمى بالحل الفردي، ووضوح التباينات الاجتماعية التطبيقية، فضلاً عن تنامي ظواهر الإحياء الديني المرتكز على الشروح المشوهة للدين .

إن طرح هذه القضية على بساط البحث يأتي من حكم لا ريب فيه، ألا وهو أننا أمام ظاهرة اجتماعية «جد خطيرة» لها انتشار واسع المدى سواء على مستوى القواعد الشعبية الواسعة، أو حتى على مستوى المثقفين. إن البحث الراهن يسعى إلى تأسيس طرح علمي اجتماعي لدراسة أهم نماذج الحركات الدينية في مصر في القرن العشرين. إن المسعى السوسيولوجي هنا، ما هو إلا محاولة للفهم الموضوعي العلمي من أجل صياغة إطار تفسيري عام للظاهرة. إننا هنا نعني بالأساس إلى إبراز هوية الجماعة الإسلامية، فضلاً عن توضيح مقاصد وأغراض هذه الجماعة، والكشف عن الصياغات النظرية والأيدولوجية في الخطاب الإسلامي، ومدى اتساق هذا الخطاب مع الممارسات والتجليات العملية لهذه الجماعة. والواقع أن أغراض هذه الدراسة لا تقف عند هذا الحد، بل تعدت ذلك، إذ تسعى إلى الكشف عن جوانب الوعي الاجتماعي - من خلال الدين - بالظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية القائمة في المجتمع. إن ذلك لن يستطيع الباحث أن يقف عليه بسهولة، دون إقامة دراسة «إمبريقية» لمجموعة من أعضاء التيار الجهادي .

إن دراسة الفكر الإسلامى الممارس والنظرى معاً، تُعدُّ من الدراسات المهمة - والقليلة - فى ميدان علم الاجتماع، إذ عن طريقها يمكن الوقوف على طبيعة هذا الفكر ورؤاه سواء بالنسبة للواقع أو للمستقبل.

وانطلاقاً من كل ما سبق، فإن الدراسة الراهنة جاءت فى ثلاثة فصول رئيسية، بالإضافة إلى مقدمة نظرية ومنهجية، ومجموعة من الاستنتاجات النهائية.

لقد جاء الفصل الأول ليتناول نشأة وتطور وتكوين التيار الجهادى فى مصر، وفيه أوضح الباحث من خلال الوثائق كيف تكوّن التيار الجهادى فى مصر، وما أهدافه وأفكاره الأساسية، فضلاً عن توضيح الأسباب المجتمعية التى دفعت الجماعة الإسلامية إلى ممارسة العنف فى مواجهة الدولة .

ويأتى الفصل الثانى ليهتم بالتصورات النظرية والأيدىولوجية لخطاب الجماعة الإسلامية. وفى هذا الفصل نقدم - ولأول مرة - منافىستو الجماعة الإسلامية الذى لم تتطرق إليه من قبل أية دراسة. ومن خلاله نحاول توضيح مفهوم ودلالات ومضمون الخطاب الإسلامى ووظائفه وعلاقته بالواقع.

أما الفصل الأخير فنجده من خلال دراسة مجموعة من دراسات الحالة لأعضاء الجماعة الإسلامية، يحاول أن يكشف عن أفكارهم لبعض القضايا المتصلة بالواقع والمستقبل .

إننا من خلال هذه الدراسة حاولنا قدر طاقتنا أن نميط اللثام عن أهم وأخطر الظواهر الاجتماعية التى حدثت فى القرن العشرين، ولكن نودُّ هنا أن نشدّد على أن تعرّضنا لموضوع الدراسة تم من خلال رؤية موضوعية

خالصة من الأحكام القيمية أو التصورات النظرية المسبقة. ونرجو من الله
أن نكون على قدر إسهامنا قد أفدنا .

والله ولي التوفيق.

شحاتة صيام

السويس في ١٩٩٢

الفصل الأول

التيار الجهادى فى مصر

النشأة والتطور والتنظيم

المحتويات

٢٩	تمهيد
٣٦	أولاً - الإرهاصات الأولى لتكوين الجماعة الإسلامية
٤١	ثانياً - نشاط الجماعة الإسلامية
٤٣	ثالثاً - وضع خطة التنظيم وجمع المعلومات وإحكام السرية
٤٤	رابعاً - تمويل التنظيم
٤٥	خامساً - تسليح التنظيم
٤٥	سادساً - تدريب أعضاء التنظيم
٤٦	سابعاً - محاولة تغيير دستور الدولة وقلب نظام الحكم بالقوة
٤٧	ثامناً - أفكار تنظيم الجهاد : وجهة نظر النظام الحاكم
٥٢	تاسعاً - أفكار الجماعة الإسلامية : وجهة نظر أخرى
٥٥	عاشراً - الأسباب المجتمعية التي دفعت الجماعة الإسلامية لمواجهة الدولة

«... ما هذه إلا البداية...»

أحد وثائق مايو ١٩٦٨

تمهيد :

قد يثور تساؤل تقليدي منذ البداية، لماذا التكرار، أو لماذا نسرف في الجهد، أو نعاود الحديث، أو نفتح ملفات التاريخ حول قضية شائكة تطرح نفسها بقوة في كل وقت. إنها مسألة الحركات الإسلامية أو حركات الإحياء الديني .

والواقع أن نوافعنا هنا تتحدد في أمرين، الأول هو أن هذه الحركات تفرض ذاتيتها على الأصعدة السياسية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية خاصة بعد أن استفادت من تجارب الماضي، واستطاعت من خلاله أن ترى الحاضر بصورة أكثر وضوحاً. إن الوجود الإسلامي يفرض نفسه، ويحاول أن يقيم لذاته وزناً ووجوداً وانتشاراً على صعيد الواقع القائم. فمن السهولة بمكان أن نجد اليوم صوراً إسلامية زاهية في الواقع الاجتماعي القائم .

أما الأمر الثاني فيتعلق بتقديم قراءة أمينة لواقع إحدى هذه الجماعات وأهمها في الواقع المصري، تلك التي تشكل قوة لا بأس بها من حيث الانتشار في كل ربوع مصر، من المدرسة والجامعة، حتى معظم

المؤسسات الحكومية والمصالح والهيئات، إنها قضية الغد بكل ما تحمله هذه الكلمة من معانٍ واسعة.

ولكن هل نكرر التجارب السابقة، ونحذ عن الدراسات والبحوث ونصبح أمام جهدٍ منثورٍ في الهواء، كلاً، إننا هنا نلجأ إلى أسلوب تقليدي في البحث العلمي الاجتماعي، إننا سوف نعيد قراءة أهم الوثائق التي من خلالها تم الحكم على فكر هذه الجماعة. أي أننا هنا سوف نتعامل مع وثائق القضية (*) التي شغلت الشارع المصري، خاصة بعد قيامهم «بانتفاضة أكتوبر ١٩٨١» التي اشتهرت بحادث المنصة الذي راح ضحيته رئيس الجمهورية الأسبق، في أكبر موكب احتفالي في يوم ذكرى شرعيته، ألا وهو ذكرى انتصار أكتوبر .

إننا هنا نحاول أن نجيب على تساؤل مركزي مركب، يتمحور حول أفكار وممارسات الجماعة الإسلامية في ضوء ما يسمى بإعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية، ودورها في إعادة صياغة عمليات التغير الاجتماعي، والشكل التنظيمي لهذه الجماعة، فضلاً عن الوقوف على الظروف المجتمعية التي أتت بهذا التنظيم على النحو الذي ظهر به .

ويهمُّ أن نشير إلى أن هناك قدرًا لا بأس به من الدراسات تناولت الجماعة الإسلامية في مصر، ولكن المتطلع إليها بعناية ودقة يجدها فضفاضةً وغير مجدية نظرياً ومنهجياً، لأنها ابتعدت في الأصل عن فكر

(*) قضايا النيابة العامة رقم ٢٥٩ لسنة ١٩٨٢، بدائرة عابدين، أمن الدولة العليا، والقضية رقم ٤٨ لسنة ١٩٨٢، والقضية رقم ٤٦٢ لسنة ١٩٨١ .

ومبادئ وفلسفة الجماعة، وتعجلت في الحكم عليها (*). إننا هنا من خلال تناول فكر وفلسفة الجماعة نبتعد عن تقديم التحليلات الجاهزة، التي لا تفيد

(*) سوف نذكر هنا بعض الدراسات والبحوث التي تناولت الجماعات الإسلامية بالدراسة:

- محمد سعد أبو عامود، البناء التنظيمي لجماعات الإسلام السياسي في الوطن العربي، مصر دراسة حالة، الوحدة (مجلة)، السنة السابعة، العدد ٨، يوليو - أغسطس ١٩٩١.

- محمد أحمد بيومي، ظاهرة التطرف: الأسباب والعلاج، مرجع سبق ذكره .
- سمير نعيم أحمد، المحددات الاقتصادية والاجتماعية للتطرف الديني : حالة مصر، المستقبل العربي، العدد ١٢١، بيروت ١٩٩٠ .

- فرج فودة، التطرف الديني السياسي في مصر، فكر (مجلة)، العدد ٧، القاهرة نوفمبر ١٩٨٥ .

- صابر أحمد نايل، حول ظاهرة العنف الديني، اليقظة العربية (مجلة)، العدد الرابع، القاهرة مايو ١٩٨٨ .

- فؤاد زكريا، مستقبل الأصولية الإسلامية، فكر (مجلة)، العدد الرابع فبراير ١٩٨٥ .

- فؤاد زكريا، الحقيقة والوهم في الحركة الإسلامية المعاصرة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٨٦ .

- عادل حمودة، الهجرة إلى العنف : التطرف الديني من هزيمة يونيو إلى اغتيال أكتوبر، دار سينا للنشر، القاهرة ١٩٨٧ .

- رفيق حبيب، الاحتجاج الديني والصراع الطبقي في مصر، مرجع سبق ذكره .
- جيلز كييل، النبي والفرعون، ترجمة أحمد خضر، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٨٨ .

- إسماعيل صبري عبد الله (محرر)، الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٨٧ .

- سعد الدين إبراهيم، مصر تراجع نفسها، مرجع سبق ذكره .

فى التعرف على مكنون هذه الجماعة من حيث الفكر والممارسة، وذلك من خلال إطار تحليلى إمبريقي يسعى إلى فهم الحاضر ورؤية المستقبل .

إننا من خلال هذا العمل لا نجعل قبلتنا موقف الكثير إما مع أو ضد. إننا هنا بموضوعية البحث العلمى الأصيل، وبدون التزام أيديولوجى أو سياسى محدّد نحاول رصد هذه الجماعة لكى نجيب على التساؤل الرئيسى لهذا الفصل. وقبل أن أشرع فى البدء، أود أن أقدم تحديداً واضحاً بين معالجتى لهذه الجماعة وغيرها من المعالجات. إن معالجتى من خلال الرؤية السوسيولوجية تبتعد عن غيرها فى أنها ترجع إلى ما أقره التنظيم وما قدمه من رؤى التكوين والنشأة والفكر، وهو ما تفتقر إليه كل التحليلات التى كانت تنحصر إما فى الكتابة الصحفية أو المعالجات التاريخية أو الاستنباطية التى خرجت غير مُحصنة مستهدفةً السبق فى المعالجة فحسب، ناهيك عن بُعدها عن فكر الجماعة ذاتها. لذا، أزعّم أن الوقوف على الجماعة من حيث فلسفتها ونشأتها وفكرها من خلال البحث فى وثائق مثولهم للمحاكمة، يُعدُّ أكبر مُعين لفهم هذه الجماعة بطريقة صحيحة وموضوعية. إن هذا الأسلوب يعدُّ من أهمِّ الأدوات التى تفتقد إليها كثيرٌ من البحوث الاجتماعية التى تصدّت لهذه المسألة.

وبهمَّ أن نوضح منذ البداية أن قرار اتهام هذه الجماعة شمل ٢٠٢ عضواً من المنتمين للجماعة الإسلامية، أو من يصطلح على تسميتهم بتنظيم الجهاد، لقد كانت مجمل أفعالهم تتحدد فيما يلى :

إنهم خلال عامى ٨٠ / ١٩٨١ حاولوا استبدال دستور الدولة وتغيير الحكومة فيها، وقلب نظامها الجمهورى من خلال الجماعة المسلحة التى كونوها فيما بينهم، والتى تستند بالأساس على تكفير نظام الحكم ومعاونيه،

وإباحة اغتيالهم، ومن ثم تسعى إلى إسقاط الحكومة القائمة عن طريق العنف وبثورة مسلحة، للاستيلاء على زمام الحكم في البلاد بالقوة. إنه لكي يتم ذلك دبّروا لتنفيذ مخططهم الذي يسعى إلى اغتيال كبار المسؤولين في الدولة والقيادات السياسية والعسكرية والشخصيات العامة، والتعدّي على أفراد قوات الأمن لسرقة أسلحتهم، وشلّ مقاومتهم لهم أثناء تحركهم، واحتلال مباني وزارة الدفاع ووزارة الداخلية والإذاعة والتليفزيون والسنترالات التليفونية وغيرها من المباني العامة والحكومية لإحكام السيطرة على البلاد، وإعلان بيانات تفيد استيلائهم على السلطة وتوجيه أفرادهم من خلالها. لقد نفذوا مخططهم باغتيال ومحاولة اغتيال عددٍ من المسؤولين أثناء مشاهدتهم العرض العسكري للقوات المسلحة احتفالاً بذكرى انتصارها في السادس من أكتوبر، كما حاولوا تخدير جنود الحراسة على مخزن أسلحة إحدى الكتائب العسكرية لسرقة ما به من أسلحة واستخدامها في احتلال مبنى الإذاعة والتليفزيون، والسيطرة عليه لإذاعة بيانات أعدوها تفيد نجاحهم في الاستيلاء على الحكم، واقتحموا مقار الشرطة والمباني العامة والحكومية بمدينة أسيوط، وقتلوا وشرّعوا في قتل عدد من ضباط وجنود الشرطة فيها، واستولوا على أسلحتهم بغية السيطرة على المدينة، وخططوا لقذف السيارات الحاملة لجنود الأمن المركزى المتواجدة بميادين وشوارع القاهرة والجيزة بالمواد المفرقة، توصلاً لشلّ مقاومة قوات الأمن لهم ولإيتمكنوا من الاستيلاء على ما يحمله الجنود من أسلحة وذخائر، وأحبطت محاولتهم نتيجة مقاومة قوات الأمن والشرطة لهم وضبطهم.

وفي يوم الثامن عشر من أكتوبر عام ١٩٨١ شاركوا في تجمهر - مؤلف من أكثر من خمسة أشخاص - دبّره وتولّى قيادته أعضاء تنظيم

الجهاد، من شأنه تعريض السلم العام للخطر، ومنع الهيئات الحكومية من ممارسة عملها بالقوة، ويقصد ارتكاب جرائم القتل العمد واحتلال المبانى العامة بالقوة وتخريبها ونهبها .

واستكمالاً لقرار اتهامهم من قبل نيابة أمن الدولة العليا، فإنهم أنشأوا وأسسوا ونظموا وأداروا، على خلاف أحكام القانون، تنظيمًا حزبيًا غير مشروع ذا طابع عسكري، واتخذوا طابع التدريبات العنيفة التى تهدف إلى الإعداد القتالى، بأن انشقوا ونظموا وأسسوا وأداروا جماعةً إرهابيةً سريةً الغرض منها الدعوة إلى مناهضة المبادئ الأساسية التى يقوم عليها نظام الحكم الاشتراكى^(١) فى الدولة والتحريض على مقاومة السلطات العامة، وكان استعمال القوة والعنف والإرهاب ملحوظًا فى ذلك، بأن درّبوا أفرادها على الأساليب القتالية واستخدام المفرقات والأسلحة مع دراسة النظريات العسكرية.

وفى سبيل تمويل التنظيم ودعمه وتسليحه والإضرار بالوحدة الوطنية بلوغاً لتحقيق أهدافه، اتفقوا فيما بينهم - ويفتوى من أميرهم^(٢) - على سرقة بعض المحال ونهبها ومهاجمة رجال الشرطة والاستيلاء على أسلحتهم.

(١) هناك خلط كبير فى توصيف طبيعة النظام السياسى القائم، أو بالأحرى طبيعة نمط الإنتاج القائم الذى يقوم عليه النظام السياسى القائم. فهو هنا يصف النظام السياسى بأنه اشتراكى بيد أن طبيعته وقتذاك تتحدد فى تبعيته الواضحة للنظام الرأسمالى العالمى.

(٢) يقصد هنا بالأمير د. عمر عبد الرحمن أستاذ الشريعة بجامعة الأزهر. وهناك عدم اتفاق فيما بين أعضاء الجماعة بأنه أميرهم، إلا أنه من الثابت أنه تعاطف مع فكرهم، وتعامل معهم على سبيل الخطابة فيهم أثناء اجتماعاتهم وصلواتهم واعتكافهم، وتقديم بعض الفتاوى والمشورة لهم.

وبتاريخ أول أغسطس عام ١٩٨١ شرعوا في قتل مجموعة من الناس، ونهبوا كمية من الذهب بالقوة الإجبارية. إنهم شكّلوا عصابةً مسلحةً لسرقة الأسلحة والذخائر بالإكراه. وفي الثالث من الشهر نفسه بيّتوا النية لقتل الموجودين في حفل زفاف بكنيسة السيدة العذراء بمنطقة «المسرة» بشبرا، وأعدوا لذلك قنبلتين قذفوهما عليهم .

وفوق كل ذلك أنهم تسلموا وقبلوا مبلغ ٢١ ألف دولار أمريكي، وحوالي ١٠٤٠٠ مارك ألماني، وحوالي ١٢٦ ألف جنيه مصري من مصريين مقيمين بالخارج. كما أنهم حازوا وأحرزوا أسلحةً ناريةً وذخائر بغرض قتل سياسى لئون ترخيص.

ونتيجةً لذلك، ولكل ما سبق، فقد وُجّهت لهم التهمة المنصوص عليها في المادة ١٣٨ (أ) من القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٦٦، وهي أنهم، وهم خاضعون للأحكام العسكرية، ارتكبوا أفعالاً ترمى إلى الخروج عن طاعة رئيس الجمهورية (١) وإلى قلب نظام الدولة الاقتصادى والاجتماعى.

ومن الأهمية بمكان أن نشير في هذا الصدد أنه لولا توجيه التهم السابقة إلى هذه الجماعة ما كان لأى باحث مهما أوتى من قدرات أن يستطيع أن يقف على طبيعة هذه الجماعة سواء من حيث الفكر أو الممارسة.

(١) هذا النص يجعل من طاعة رئيس الجمهورية طاعةً واجبةً وملزمةً مثل طاعة الخليفة التى هى واجبة عند أهل السنة، كما أنه من نص قرار اتهامهم يصفونهم بأنهم جماعة مسلحة إرهابية مرةً، ومرةً أخرى جماعة غير شرعية تهدف إلى تغيير نظام الحكم. والتساؤل هنا: شريعة من ؟. شرعية النظام الحاكم الذى وصفوه بالبعد عن الإسلام والجاهلية والكفر. إننا هنا أمام قضية نسبية، فما هو شرعى وجائز من وجهة نظر الحاكم، هو ليس كذلك من وجهة نظر تنظيم الجماعة الإسلامية.

إن هذه المحاكمة أوضحت بشكل لا يقبل الشك إلى أى حد كانت هذه الجماعة تعمل بشكل مستتر، واستطاعت من خلال السرية أن تفوص فى أعماق البناء الاجتماعى الاقتصادى القائم.

أولاً: الإرهاصات الأولى لتكوين الجماعة الإسلامية:

إنه من خلال قرار الاتهام يمكن أن نخلص إلى أن الجماعة الإسلامية تعود نشأتها إلى نهاية عقد السبعينيات، أى تحديداً فى أوائل عام ١٩٧٩، حينما فكر «محمد عبد السلام فرج» المهندس^(١) وقتذاك بإدارة جامعة القاهرة فى إنشاء تنظيم حزبى غير مشروع نى طابع عسكري، وذلك بإنشاء جماعة سرية تهدف إلى الوقوف ضد المبادئ الأساسية التى يستند إليها النظام السياسى الحاكم فى مصر، والدعوة إلى تغييره، لأنه يضع حاجزاً بينه وبين تطبيق الشريعة الإسلامية، تلك الأمور التى أدت - من وجهة نظرهم - إلى انتشار الفساد الاجتماعى والبعث عن تطبيق شرع الله! والواقع أنه بعد أن استقرت هذه الفكرة واستبان أن لدى «فرج» - أى

(١) هناك تناقض بين رأى المحكمة ورأى فرج نفسه خاصة فيما يتصل بمسئولية فرج الأولى فى تكوين تنظيم الجهاد المصطلح عليه من قبل الأمن. فالمحكمة ترى أنه صاحب الفكرة، بينما هو يرى أنه أثناء عمله فى أوائل عام ١٩٧٨ بشركة هايدلكو بالإسكندرية تعرف على «محمد إبراهيم سلومة» الذى ضمّه إلى «تنظيم الجهاد»، وبعد القبض على أعضائه فى عام ١٩٧٩ وعدم كشف أمره انقطعت صلته بهذا التنظيم وعُيّن مهندساً فى إدارة جامعة القاهرة، وبدأ يفكر فى إنشاء تنظيمه. راجع فى ذلك أقوال أعضاء تنظيم الجهاد فى القضية رقم ٢٢٥٩ لسنة ١٩٨٢ أمن الدولة العليا ص ٩١ .

تكوين تنظيم الجماعة الإسلامية السرية - حاول أن يرسم منهجه في كتاب سماه «الفريضة الغائبة». إن كتاب الفريضة الغائبة يعد من وجهه نظر كاتبه المستودع الفكرى الذى استمدت منه الجماعة أفكارها، والذى يعد خلاصة قراءاته من كتب السلف. ويخلص هذا العمل إلى أن طواغيت هذه الأرض لن تزول إلا بقوة السيف، وأن الرسول عليه الصلاة والسلام قد بشر بإقامة الدولة الإسلامية وإعادة الخلافة، وأن إقامة الدولة الإسلامية فرض واجب من المولى على كل مسلم، كما أن حكم إقامة شرع الله على هذه الأرض فرض على كل المسلمين لأن ما لم يتم الواجب إلا به فهو واجب أيضاً، وأنه إذا كانت الدولة الإسلامية لن تقوم إلا بالقتال، لذا وجب على المسلمين القتال.

ويوضح كتاب الفريضة الغائبة أن الأحكام التى يحكم بها المسلمون فى الوقت الحاضر هى أحكام الكفر. فهى قوانين وضعتها الكفار، ويحاولون تفسير المسلمين عليها، وأن أحكام هذه العصر تعدت فيها أبواب الكفر التى خرجوا بها عن ملة الإسلام، بحيث أن الأمر لا يشتبه فيه على كل من تابع مسيرتهم. وأن حكام هذا العصر يبتعدون عن الإسلام، وتربوا على موائد الاستعمار والصليبيين، والشيوعية، والصهيونية، فهم لا يحملون من الإسلام إلا الأسماء، وإن صلوا وصاموا وأدعوا أنهم مسلمون. ثم عقد مقارنة بين حكام التتار وحكام اليوم، وانتهى إلى أن صفات حكام التتار هى هى صفات حكام اليوم، وحاشيتهم الموالية لهم الذين عظموا الحكام أكثر من تعظيمهم لخالقهم، وانتهى من هذه المقارنة إلى أن حكام اليوم مثل حكام التتار خرجوا عن شريعة الإسلام.

إنه نتيجة لكل هذه الآراء نجده ينتهى إلى وجوب الخروج على

الحاكم، وأن القتال الآن فرض على كل مسلم، وأنه يجب على المسلم أن يهب نفسه للجهاد في سبيل الله، وأن ترك الجهاد هو السبب الذي ولد ما يعيشه المسلمون اليوم من ذل وتدهور، وأن على المسلمين أن يختاروا الأسلوب المناسب والفعال الذي يحقق النصر لهم، ولكن بأقل التكاليف والخسائر^(١).

لقد وجه «فرج» أفكاره إلى فئة معينة من المجتمع، إنهم فئة الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين العشرين والثلاثين، والذي يرى فيهم أنهم فئة ذات قلوب نظيفة، وقريبة من الفكر، بعكس الشيوخ الذين أصبحت قلوبهم منكوسة غير قابلة للحق^(٢).

ثم بعد أن صاغ أفكاره، بدأ يضعها حيز التنفيذ، ونتيجة لذلك بدأ يروج لأفكاره والبحث عن مريديه، لذا بدأ يتردد على المساجد الكائنة بدائرة

(١) المدقق في الطرح السابق لكتاب الفريضة الغائبة يجده يطرح فقط الجهاد كفريضة واجبة على المسلمين، وكألية واحدة ووحيدة للدعوة، وتتغافل أو غض الطرف عن أليتين أخريين هما الدعوة والحسبة أو النهي عن المنكر والأمر بالمعروف، وراى الكتاب أن آلية الجهاد دون غيرها هي التي سوف تأتي بالأمر المحجوز ألا وهو قيام الدولة الإسلامية.

(٢) إنه في اختياره يحاول أن يطلق التعميم على أن كل الشباب قلوبهم نظيفة، والعكس أيضاً على أن كل الشيوخ أصبحت قلوبهم منكوسة. وهذا عيب خطير يؤخذ على منطق الاختيار. وأزعم هنا أن ليس ذلك كذلك، وإنما لأن ما يتمتع به الشباب من خصائص وما يتميزون به من اندفاعات وعواطف أو عدم رجاحة العقل، هو ما يجعل الشباب في ظل الظروف المجتمعية التي كانت سائدة آنذاك أن يقبلوا الانضمام إلى هذه الجماعة.

حول خصائص الشباب والظروف المجتمعية في مصر انظر : على ليلة، الشباب في مجتمع متغير مرجع سبق ذكره .

مسكنه ببولاق الدكرور والأحياء القريبة، والقرى القريبة منها، ليخطب فيها ويبيث أفكاره، وليجذب المشايخين لفكره^(١).

وفي صيف عام ١٩٨٠ أثناء تروده على مسجد الفتح ببلدة ناهيا مركز إمبابة تعرف على «طارق عبد الموجود الزمر» الطالب بكلية الزراعة بجامعة القاهرة، والذي كان قد تشنت فكره نتيجة قراءاته الكثيرة في كتب السلف، وأثناء هذه الفترة تعرف على «عبود عبد اللطيف الزمر» المقدم بالمخابرات الحربية وزوج شقيقة طارق الزمر والذي كان قد اقتنع أيضاً من خلال قراءاته لكتب السلف إلى ضرورة الجهاد القتالي في سبيل الله لتحرير البلاد من حكم الجاهلية، أو ممن يحكمون بغير ما أنزل الله. لذا يمكن القول أن أفكار فرج والزمر تعانقتا حول العمل الجهادي، الذي وافق الثاني على مشاركة الأول في تأسيس التنظيم.

وفي الوقت نفسه استطاع «فرج» أن يجتمع بأحد قادة الجماعات الإسلامية الهارب من النظام نتيجة أحداث الفتنة الطائفية بالمنيا، ألا وهو «كرم زهدى». لقد اختبأ «زهدى» في ذلك الوقت بالمدينة الجامعية، وبعد مجموعة من اللقاءات داخلها وداخل منزل الثاني اتفقا على إقامة الدولة الإسلامية عن طريق «الثورة الشعبية» من خلال تأسيس تنظيم سرى ذى طابع عسكري على مستوى الجمهورية.

(١) الواقع أن اختياره للمناطق الطرفية أو الهامشية تؤكد قيام ظروف اجتماعية بعينها يأتى في مقدمتها انتشار الفقر والبؤس والمرض بين أوساط سكانها، تلك الأمور التى تجعل الشباب يسلكون سلوكاً انسحابياً تجاه المجتمع وقيمته، وتجعلهم يمتطون ركاب الدين ويجعلون من التمسك بالماضى رمزاً وهدفاً.

وبعد ذلك ومن خلال «زهدي» تم عرض هذه الفكرة على قيادات الجماعة الإسلامية في الوجه القبلي (ناجح إبراهيم، وفؤاد حنفي، وعلى الشريف، وعصام الدين دريالة، وعاصم عبد الماجد، وحمدي عبد الرحمن عبد العظيم، وأسامة إبراهيم حافظ، وطلعت قاسم) الذين وافقوا جميعاً على تأسيس التنظيم وإدارته.

وفي أواخر عام ١٩٨٠ ومن خلال المساجد المقامة في ضواحي القاهرة - وعلى الأخص في بولاق الدكرور - تم تجنيد كثير من الشباب الذين اقتنعوا بفكرة الجهاد وشاركوا في تأسيس التنظيم وإدارته .

ويهم أن نشير إلى أنه في ذات الوقت الذي كان «فرج» يدعو فيه إلى تأسيس تنظيمه ذي الطابع شبه العسكري لمناهضة المبادئ الأساسية التي يقوم عليها نظام الحكم في الدولة، والتحريض على مقاومة السلطات العامة والقيام بثورة شعبية لإقامة الدولة الإسلامية، كان «محمد سالم الرحال» الأردني الجنسية والطالب بجامعة الأزهر، يسعى بدوره لتأسيس تنظيم آخر يقوم على الفكرة نفسها التي يروج لها «فرج»، ولكن عن آلية مخالفة تتمثل في الانقلاب العسكري^(١).

لقد بدأ الرحال في وضع أسس التنظيم ومقوماته ولائحته ومنهاجه للوصول إلى الحكم، وحاول تجميع المعلومات عن بعض الشخصيات العامة في أجهزة الدولة، كما اتصل بعددٍ من الشباب عارضاً عليهم فكره وهدفه

(١) انظر حول ذلك في :

محمد مورو، تنظيم الجهاد : جذوره وأسراره، الشركة العربية الدولية للنشر، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩٠، ص ١٠٣ .

الذى يتلخص فى تكفير الحاكم وتكفير الهيئات المعاونة له لأنهم موالون للحاكم الكافر الذى يحكم بغير ما أنزل الله (١) .

ثانياً: نشاط الجماعة الإسلامية:

بعد أن خلص «فرج» من انتقاء واصطفاء الأشخاص الذين سيعاونونه فى إدارة التنظيم السرى، اجتمع معهم واتفقوا على أن يكون للتنظيم «مجلس شورى»، وبدأوا فى تشكيله، واستقر رأيهم على أن يكون مجلس الشورى مكوناً من الآتى أسماءهم : محمد عبد السلام فرج، وعبود الزمر، وكرم زهدى، وناجح عبد الله، وفؤاد حنفى، وعلى الشريف، وعصام دريالة، وعاصم عبد الماجد، وحمدى عبد الرحمن، وأسامة إبراهيم، وطلعت فؤاد قاسم. وأن تسند رئاسة التنظيم إلى مجلس الشورى، ويختص بإدارة شئون التنظيم ومتابعة الأحداث ومواجهتها بالقرارات اللازمة.

وقد انبثق عن مجلس الشورى ثلاث لجان هى : لجنة العُدَّة، ولجنة الدعوة، واللجنة الاقتصادية، ثم مسئول المحافظات؛ على أن يكون لكل أمير الاختصاص بكل ما يتعلق بمجموعته سواء على مستوى الدعوة، أو اختيار الأفراد وتربيتهم، أو تدريبهم على قيام الليل والمعتكفات والوصول بهم إلى المستويات المطلوبة فكرياً ودينياً وعسكرياً .

(١) هناك تواكب بين فكر الرحال وفرج، إذ نجد الفكرة نفسها ، ولكن الآلية مختلفة. إن ذلك يجعلنا نتساءل هل هذه صدفة، أم أن هناك عوامل اجتماعية ساهمت فى إفراز مثل هذا الفكر .

وبعد أن انتهى «محمد عبد السلام فرج» من اختيار معاونيه الذين وافقوا على تأسيس التنظيم وإدارته، بدأ فى ضم مجموعة من الشباب الملتزم دينياً إلى تنظيمه، وكانت آليته فى ذلك هى التعارف ثم المناقشة لمعرفة التوجه الفكرى واختبار قابليته لفكرة الجهاد، ثم إعداد العدة للجهاد من خلال التدريب، بهدف إقامة الدولة الإسلامية عن طريق قتال الحكومة بغرض تطبيق الشريعة الإسلامية.

ويوضح نشاط الجماعة الإسلامية أن العناصر التى ضمها التنظيم كانت تتوزع بين طلاب الجامعة وحاملى المؤهلات المتوسطة، ومن لا يعمل، وصغار التجار والموظفين (صاحب مكتبة ومحصل بميناء القاهرة الجوى، والسائقين، وأمين شرطة، وصف ومتوسطى ضباط الجيش، ومقدم برامج بالإذاعة).

ومنذ صيف عام ١٩٨٠ بدأ «فرج» فى التردد على المساجد خاصة القائمة فى المناطق الطرفية للقاهرة لإلقاء دروسه المتضمنة ضرورة العودة إلى الإسلام، وأتباع قول السلف الصالح، وعدم الأخذ بأقوال العلماء المعاصرين وضرورة إقامة الدولة الإسلامية عن طريق الجهاد الذى يعد فريضة واجبة إلى أن تقوم الساعة لتطبيق شرع الله.

وفى أوائل عام ١٩٨١ التقى «فرج» بخالد الإسلامبولى قائد عملية أكتوبر ١٩٨١، أو ما يسمى بحادث المنصة، حيث علم أنه ينظم أفراداً للجهاد من العسكريين والمدنيين، وأنه أنشأ تنظيمًا سريًا يقوم على فكرة الجهاد، وهدفه قلب نظام الحكم بالقوة عن طريق الثورة الإسلامية، وأنه جارى توسيع قاعدة التنظيم، فانضم إليه وهو مقتنع بفكره وهدفه وبأسلوب الوصول إلى الهدف.

ثالثاً: وضع خطة التنظيم وجمع المعلومات وإحكام السرية :

فى شهر فبراير عام ١٩٨١ بدأ «عبود الزمر» وضع خطة التنظيم لتحقيق أغراضه، وهى مناهضة المبادئ الأساسية التى يقوم عليها نظام الحكم فى الدولة والتحريض على مقاومة السلطات العامة بهدف إقامة الدولة الإسلامية، وتتلخص هذه الخطة فى إعداد مجموعة من الأفراد المدنيين وتدريبهم إلى مستوى معين مع توفير الأسلحة التى تمكن من القيام بعمليات إحكام على بعض الأهداف الرئيسية والقيام باغتيال بعض القيادات السياسية وتفجير الثورة الشعبية من خلال توجيه مظاهرات شعبية، ثم بعد ذلك اختيار مجلس علماء ومجلس شورى من علماء المسلمين يخطرون بعد تفجير الثورة ليتولوا أمور البلاد .

وقد عرض «الزمر» هذه الخطة على أعضاء «مجلس شورى التنظيم» فوافقوا عليها. وفى سبيل تنفيذها قاموا بتدريب أعضاء التنظيم. ثم بدأوا فى جمع المعلومات عن بعض الشخصيات القيادية خاصة تحركات رئيس الجمهورية، ومعلومات عن مبنى الإذاعة والتليفزيون، ومعلومات عن مبنى وزارة الداخلية، ومقر أمن الدولة، ومقر الأنبا شنودة، وعن بعض الشخصيات القيادية، مثل إقامة قائد الحرس الجمهورى، وقائد الأمن المركزى، ومنزل نائب رئيس الجمهورية الأسبق. وبعد أن انتهوا من تجميع المعلومات بدأ عبود الزمر فى وضع الخطط اللازمة لاغتيال القيادات السياسية .

ولما كان تنظيم فرج يتسم بالسرية، فقد وضع «عبود الزمر» المبادئ الأساسية ليحتفظ التنظيم بسريته، وتتلخص هذه المبادئ فيما يلى :

١ - إلقاء محاضراته عن الأمن لأعضاء التنظيم تلك التي يرى أن من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه، أى أن كل عضو فى التنظيم غير مطلوب أن يعرف أكثر من نفسه، والموضوعات المكلف بها، ولا يسأل عن زميله أو يتعرف عليه، وعدم التحدث بأية معلومات عن التنظيم مع أحد، وعدم وجود لقاءات جماعية أو فردية مع أعضاء التنظيم، وأن تتم اللقاءات معه بصورة فردية، والاستعانة بكتابة الأشياء بالرموز والأسماء الحركية.

٢ - أعد «الزمر» منهجاً مبسطاً للأمن استقاه من خدمته فى المخابرات الحربية، ذلك الذى كان يُحرق من قِبَل مسئولى الجماعات بعد تدريسه .

٣ - أعد «الزمر» شفرة خاصة بالتنظيم لاستخدامها فى تبادل الرسائل .

رابعاً: تمويل التنظيم:

كان التنظيم فى بدايته يعتمد فى تمويله على التبرعات من المساجد وما يُدره مشروع الأسواق الخيرية من ربح، إلا أنه بعد تصفية المشروع الأخير، وأثر وقوع حادث الزاوية الحمراء، اتفق مجلس شورى الجماعة على تطوير عملية التمويل عن طريق قتل بعض المسيحيين الذين يتاجرون فى الذهب ونهب وسرقة محتويات محلاتهم. وقد نُفذت هذه الخطة فى بعض المسيحيين ببلدة نجع حمادى. كما لم تقف أعمالهم عند هذه البلدة فقط، بل نفتوا مثل هذه الأعمال فى تجار الذهب فى دائرة قسم أول شبرا الخيمة خاصة بعد أن وصل إلى علم «الزمر» أن صاحبة أحد المحال تساعد الكنيسة ضد المسلمين .

خامساً: تسليح التنظيم:

ولما كان استعمال القوة والعنف والإرهاب ملحوظاً في إنشاء التنظيم الحزبي غير المشروع لذلك وجه مؤسسه وأعضاؤه اهتماماً ملحوظاً نحو إحراز وحيازة القنابل والمتفجرات والأسلحة النارية المششخنة والمصقولة الماسورة والذخائر التي تستعمل في الأسلحة سالفة الذكر، والأسلحة البيضاء (من سيوف وسونكات وخناجر ومطاوي وبلط وسكاكين)، تلك التي كانت إما مشتراة من أفراد أو مسروقة من وحدات الجيش، أو استولى عليها من أفراد الشرطة المكلفين بالحراسة .

سادساً: تدريب أعضاء التنظيم:

بعد أن انتهى مؤسسو أو مديرو التنظيم من ضم أفراد إلى التنظيم وتكوين المجموعات وتمويل التنظيم وتجميع الأسلحة على الوجه السابق بيانه، بدأوا في تنظيم حركة تدريب أعضاء التنظيم، والتي كانت تمر وفق ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : التدريب على الأمن والطبوغرافيا (١) والإسعافات والرياضة البدنية وتعليم قيادة السيارات والدراجات البخارية.
والمرحلة الثانية : التدريب على الإغارات والكمائن واقتحام المباني واستخدام المفرقات نظرياً، واستخدام السلاح فنياً وتركيباً .

(١) تعنى كلمة الطبوغرافيا الرسم الدقيق للأشياء، أو لسماتها السطحية، أو بقول آخر إنها الرسم الدقيق لمكان معين .

أما المرحلة الأخيرة فكانت تتمحور في الرماية بالأسلحة وتدريب عملي على الاقتحامات والكمائن على الأهداف المشابهة، وتولى أشخاص من داخل المجموعات عملية تدريب أعضاء التنظيم .

سابعاً: محاولة تغيير دستور الدولة وقلب نظم الحكم بالقوة:

بتاريخ ٢ سبتمبر عام ١٩٨١ أصدر رئيس الجمهورية القرار رقم ٤٩٣ لسنة ١٩٨١ تضمن التحفظ على عدد ١٥٣٦ شخصاً ممن توافرت فيهم دلائل جديّة على أنهم ارتكبوا أو جندوا أو استغلوا صورة الأحداث التي هدّدت الوحدة الوطنية أو السلام الاجتماعي أو سلامة الوطن، وكلف المدعى الاشتراكي إجراء تحقيق سياسي مع كل المتحفظ عليهم. وقد كان من بين من شملهم هذا القرار عدد كبير من أعضاء مجلس شوري هذا التنظيم، وتعقب باقى أعضاء هذا المجلس من قبل أجهزة الأمن .

لقد نتج عن ذلك أن صدرت تعليمات إلى جميع أعضاء التنظيم بحلق اللحية والهروب من مساكنهم مع مداومة الاتصال فيما بينهم. لقد أسفرت هذه الإجراءات عن اتفاق إدارة باقى أعضاء التنظيم الذين لم يتم التحفظ عليهم، على ضرورة التعجيل بتحقيق هدف التنظيم، ذلك الذى يتمثل فى إقامة الدولة الإسلامية، ومحاولة تغيير دستور الدولة وشكل الحكومة فيها، وقلب النظام الجمهورى بالقوة .

وفى تاريخ ٢٣ سبتمبر ١٩٨١ وقع الاختيار على الملازم أول خالد الإسلامبولى للاشتراك فى طابور العرض يوم ٦ أكتوبر ١٩٨١، وفى تاريخ ٢٥ سبتمبر ١٩٨١ توجه «خالد الإسلامبولى» لزيارة «فرج» فى منزله لإبلاغه بمحاولة التخلص من رئيس الجمهورية الأسبق فى منصّة العرض، والذى

تم بالصورة الدرامية التي أفصحت عنها ببلاغة وسائل الإعلام المرئية والمسموعة .

وتنفيذاً لما انعقد عليه العزم بين أعضاء التنظيم من محاولة تغيير دستور الدولة وشكل الحكومة ونظامها الجمهورى بالقوة، إجتمعوا فى ٣ أكتوبر عام ١٩٨١ لتنفيذ محاولة سرقة أسلحة إحدى الكتائب العسكرية لمهاجمة مبنى الإذاعة والتليفزيون ومحاولة السيطرة على الدولة .

وتنفيذاً أيضاً لما انعقد عليه عزم أعضاء التنظيم وضعت خطة لكسر حاجز الخوف أمام الشعب لإمكان تحريكه يوم ٦ أكتوبر ١٩٨١ وذلك بضرب سيارات جنود الأمن المركزى المتمركزة فى ميادين الجيزة والدقى والتحرير بالمفرقات. وينبغى أن نشير أيضاً إلى أنه استقر الرأى على محاولة السيطرة على مدينة أسيوط فى الوقت نفسه الذى تتم فيه خطة الاستيلاء على الحكم فى مدينة القاهرة. ومن الأهمية بمكان أن نشير هنا إلى أن تنظيم الجهاد أراد استغلال عملية الاغتيال فى تنظيم ثورة شعبية تمتد من القاهرة والجيزة حتى أسوان^(١) .

ثامناً: أفكار تنظيم الجهاد: وجهة نظر النظام الحاكم:

سوف نتعرف فى هذه الجزئية، ومن خلال القضية ذاتها، على وجهة نظر الدولة فى أفكار الجماعة الإسلامية، والتي تبدو من الوهلة الأولى، أنها ضد خروجها عن شرعيتها. إننا هنا ننظر إلى وجهة نظر الدولة من خلال

(١) يمكن الاستدلال على ذلك من خلال أقوال أعضاء تنظيم الجهاد فى القضية سالفة الذكر من ص ٩١ - ١٤١ .

رؤية النيابة العامة لفكر المتهمين أو من خلال فكر أعضاء تنظيم الجهاد، لقد تناولت النيابة العامة فكر أعضاء التنظيم بالتمحيص - من وجهة نظرها - فذهبت منذ البداية إلى أن هناك مسلمات لا تقبل الجدل، أبرزها تلك التي تتعلق بأن «القرآن الكريم» هو دستور الأمة الإسلامية، وأن السنة النبوية الشريفة شارحة ومبينة له، وأنه لا يجوز تفسير القرآن بدون علم، ولا تحميل ألفاظه بما يتفق مع الهوى، وأن العلماء المتخصصين في كل فروع المعرفة موجودون بكثرة، وأن من يقنع بمعرفته الشخصية قد يضر نفسه .

وأنه من هذا المنطلق قد استطاعت النيابة العامة أن تسوق رأيها في فكر الجماعة انطلاقاً من مصدرها الرئيسي ودستورها الذي وضعه «فرج» في كتابه الذي سماه «بالفريضة الغائبة» وما أثاره قادة التنظيم وأعضاؤه في التحقيقات.

وترى الدولة أن كتيب «الفريضة الغائبة» يوضح أن واضعه غير مؤهل تماماً للاجتهد أو تفسير القرآن والأحاديث، ومن ثم فقد خدع نفسه أولاً، ثم خدع الآخرين، فضلاً عما شاب الكتيب من ركاكة الأسلوب وأخطاء التعبير، الأمر الذي يعطى انطباعاً عن قلة حصيلة صاحب الكتيب من القرآن الكريم، كما أنه يبين من مناقشة الأفكار التي تضمنها الكتيب قلة حصيلة واضعه من علوم الفقه، إذ ورد بالكتيب أن علماء العصر تجاهلوا الجهاد في سبيل الله بالرغم من علمهم أنه السبيل الوحيد لعودة ورفع هرح الإسلام من جديد. وهو في ذلك يشير إلى مفهوم معين للجهاد، ألا وهو حمل السلاح للقتال وفاته أن حمل السلاح ليس هو السبيل الوحيد لعودة الإسلام.

فالجهد عمل واسع ولا يمكن قصره على وسيلة واحدة من وسائله الكثيرة، وعلى ميدان واحد من ميادين المتعددة. فهناك الجهاد بالقرآن، وهناك الجهاد ضد النفس الأمارة بالسوء، وهناك جهاد ضد الشيطان، وأنه قد فات واضع الكتاب أن الجهاد الذي يعيد الإسلام من جديد هو الجهاد الشامل للنفس والشيطان والمنافقين والمشركين، وجهاد الفقر والمرض والجهل. أما القول بأن الجهاد هو القتال فذلك مفهوم غريب عن الفكر الإسلامي. ثم تعرضت الدولة بعد ذلك إلى ما جاء ذكره في كتيب الفريضة الغائبة حول قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «... بُعثت بالسيف بين يدي الساعة لى يُعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقى تحت رمحى، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمرى، ومن تشبّه بقوم فهو منهم...» .

والواقع أن معنى : «... بعثت بالسيف» يعنى أن الله بعثه صلى الله عليه وسلم داعياً بالسيف للتوحيد بالقرآن وأن ليس أمامه فى هذه المهمة إلا السيف .

والواقع أنه لو تمعن - الكلام هنا للدولة - واضع الكتيب المذكور فى هذا الحديث لاستبان منه أن منهج الدعوة هو عرض الإسلام أولاً بالحكمة. ثم عند الإعراض يُطلب من الكفار إخلاء الطريق لتبليغها، فإن رفضوا وجب قتالهم. فالقتال هو آخر مرحلة من مراحل الدعوة. إن المفهوم السطحي للحديث يوحى بأن الإسلام انتشر بالسيف، وأنه الوسيلة الوحيدة للدعوة، وهذا مخالف تماماً لطبيعة الإسلام فى كونه رحمة للعالمين. فالقتال لا يكون إلا بعد استنفاد كل الوسائل .

أما القول الآخر الذى تضمنه كتاب الفريضة الغائبة والذى نسبه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو «... قال وهو يخاطب طواغيت مكة - استمعوا يا معشر قريش - أما والذى نفس محمد بيده، لقد جئتم بالفتح...» فى حين أن هذا الحديث ورد فى سند أحمد، وسنده ضعيف، ولا يوجد فى مصادر السنة الأخرى، فى حين أن ظاهر هذا القول يتناقض مع ما جاء به الإسلام باعتباره دين لين ورحمة، ولم يحدث أن الرسول صلى الله عليه وسلم رفع سيفاً فى وجه أحدٍ من أهل مكة قبل الهجرة، وحتى بعد أن هاجر ودخل مكة فاتحاً لها، وكان فى مكته الانتقام من أهلها، فقال لهم اذهبوا وأنتم الطلقاء. فقد كانت الرحمة خلقه وهى الغاية من رسالته .

ورأت الدولة أيضاً، أن صاحب كتيب الفريضة الغائبة أراد أن يشحن وجدان الشباب الذى وجه التنظيم جهده إليه، وأراد أن يؤسس فكره بأسس من الدين الإسلامى، اختلفت موازينه وحاد عن الطريق المستقيم، واستنبط أحكاماً توافق هواه .

ثم تعرضت الدولة بعد ذلك إلى الأساس الفكرى للتنظيم، فראت أن هذا الأساس يتمثل فى تكفير الحاكم وأعدائه، فذهب إلى أنه ورد فى الكتيب أن الأحكام التى تعلو المسلمين اليوم هى أحكام الكفر، لأن الله سبحانه وتعالى يقول : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) (التوبة : ٥)، وأن الشريعة التى أنزلها الله ليحكم بها الناس شاملة العقيدة والعبادة والمعاملات وغيرها .

وأضيف أنه ليس مجرد عدم الحكم بها يكون كفراً، لأن الكفر معناه

الجحود والإنكار، وليس معناه التقصير في تنفيذ أمر من أوامر الله، فمن اعترف أن الأمر مقرر شرعاً، ولكن أهمل تنفيذه؛ فإن العمل لا يؤثر على الاعتقاد ولا يمكن اتهامه بالكفر، وأنه لم يربط بين العمل والاعتقاد كما في الفرق بين الإيمان والكفر سوى الخوارج. هذا وأن تكفير الفرد ليس أمراً بسيطاً، إذ يترتب عليه اختلال حياة الفرد كلها في أموره الخاصة والعامة، وابتداءً من حياته داخل أسرته إلى معاملته للناس في المجتمع حين ينظر إليه على أنه فرط في دينه وخرج من سعة الإيمان إلى ضيق الكفر، ولذلك كان المسلمون الأوائل يراعون صفة الإيمان في الناس جميعاً ولا يخرجون أحداً من جماعة المؤمنين إلا من أخرج نفسه من الإسلام بقول أو فعل قاطع الدلالة في الخروج على الإسلام .

وأورد ممثل الدولة في حكمه على الجماعة الإسلامية، أنها قذفت المجتمعات الإسلامية بأنها جاهلية تارة وكافرة تارة أخرى، وأنها تحكم بأحكام الكفر، إن هذا الحكم يعتبر حكماً جائراً يخالف أحكام الشريعة الإسلامية، ويضيف الكتاب أيضاً أن أحكام اليوم مرتئون عن الإسلام، وأن عقوبة المرتد أعظم من عقوبة الكافر الأصلي، واستدل على ذلك بمقتطفات لابن تيمية الذي يعيش مرشداً وهادياً لأفكاره واسترشد بها، وذلك يعدُّ فهماً وتفسيراً خاطئاً، ناهيك عن أنه غير مؤهل للاجتihad .

وأضاف ممثل الدولة أن ما جاء بالكتيب من تشبيه حكم اليوم بالتتار، وظُف في غير موضعه، ولا علاقة هنا بموضوعه، فالتتار كفار في الأصل ويتظاهرون بالإسلام، وأفعالهم تفضح بواطنهم الكافرة، ومن ثم

فاستدلالات الكتّيب بفتاوى ابن تيمية فى غير موضعها، ومن ثمّ فهى توضح عدم فهمها وعدم توظيفها فى مكانها الصحيح.

وقد تعرضت الدولة إلى وجهة نظر الجماعة الإسلامية فى آية «السيف» خاصّةً فى استنادها لها لمقاتلة الحكم، وذهبت إلى أنه فات واضح الكتاب، أن هذه الآية نزلت فى المشركين والحض على قتالهم لنقضهم العهد وإعراضهم عن شرع الله وإخراجهم للمسلمين من ديارهم واعتدائهم عليهم. إنه من وجهة نظر الدولة أن هذه الآية نزلت لمقاتلة الكفار وليس لقتال المسلم العاصي^(١).

ثم انتهى ممثل الدولة إلى قوله إن الدين ينهى عن أن يكفر المسلم أخاه المسلم، وأن الحاكم هو رمز وحدة جماعة المسلمين، وهو القائم على شئونهم، وقد أمر الله بطاعة أولى الأمر فى غير معصية، فإن كان تكفير المسلم كبيرة عند الله، فالقول بتكفير الحاكم المسلم أكبر، وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الخروج على الحاكم.

تاسعاً: أفكار الجماعة الإسلامية: وجهة نظر أخرى:

فى السطور التالية سوف نتعرض لوجهة نظر مخالفة للرؤية التى سقناها قبل قليل وتعرضنا فيها لوجهة نظر الدولة فى أفكار جماعة تنظيم الجهاد. إننا فى هذا الشق سوف نتعامل مع رأى «الشعب»، رأى الدفاع فى هذه الجماعة وأفكارها ومبادئها وأهدافها.

(١) برغم أن ممثل الدولة يندد دستور الجماعة الإسلامية للدفاع عن نظامه الحاكم، إلا أن المطلع على استنتاجاته يجد فيها بوضوح إدانة للنظام الحاكم بشكل لا يقبل الجدل.

فى هذا الإطار حاول الدفاع أن يعرف الإسلام بكماله وشموله، ورأى أن الإسلام حياة كاملة للأسرة والفرد والمجتمع والبشرية كافة، فهو شريعة صالحة لكل زمان ومكان، وشريعة فوق كل الشرائع والدفاع عنه واجب ومفروض على كل المسلمين، وأن الأصل الأول فى الإسلام هو العقيدة، وأمور العقيدة هى بين العبد وربه. أما الأصل الثانى فهو العلاقة بين الفرد والفرد، والفرد والدولة والأسرة، أى العلاقة بين الناس، وقد جاءت أحكام هذه العلاقات فى الكتاب والسنة وهى ما تسمى بالشريعة الإسلامية .

ويستطرد الدفاع فيذهب إلى أن أعضاء الجهاد حاولوا تسويد الشريعة الإسلامية والانتصار لدين الله، وهم فى سبيل ذلك كانوا مستعدين للموت، أو الذهاب إلى أبعد من ذلك، لو كان ذلك متاحاً .

والواقع أن إيمان الفرد لا يكتمل، إذا كان حاكماً أو محكوماً، إلا بتطبيق شرع الله، ومن انتقص منه، فقد انتقص فى دين الله، ولا يجوز التحاكم بغير شريعة الله. والدليل على وجود تطبيق الشريعة الإسلامية مستمد من القرآن الكريم الآيات ٢٤ - ٤٥ - ٤٧ من سورة المائدة، والمستفاد من قوله تعالى : (أحكم بينهم بما أنزل الله) وهو أمر واجب، وعدم مشروعية التحاكم بغير ما أنزل الله وقاعدة الحكم بما أنزل الله لا خلاف عليها، وأن الله وصف الذين يحكمون بغير ما أنزل الله بأنهم كافرون، ظالمون، فاسقون، ومن خرج عن الملة وجحد شرع الله ولم يطبقه ومن أنكر معلوماً من الدين بالضرورة فهو من الكافرين، ولا شأن له بالحكم. فقد أجمع العلماء على أنه يخرج عن الدين من جحد معلومه، وإذا لم يطبق الحاكم الشريعة فقد أمعن فى الخروج عن الإسلام، أما الذى لا يطبق شيئاً من

الشريعة بغير علم فقد عصى، ومن المعاصى إهمال تطبيق الشريعة الإسلامية .

والدليل الثانى على وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية مستمدٌ من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيام الحكم على أرفع مستوى فى عهد الرسول دليل على وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية .

أما الدليل الثالث فهو الإجماع، فتصرفات الصحابة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم دليل قاطع على اهتمامهم بمصالح المسلمين، إذ أن تطبيق الإسلام فى عهد الخلفاء الراشدين وأقوالهم الماثورة دليل على تمسكهم بشرع الله .

إن عدم تطبيق الشريعة الإسلامية وبعد الحاكم عن سيادة شرع الله والظروف الاجتماعية القائمة فى المجتمع هى الباعث الرئيسى لتكوين جماعة الجهاد ومن ثم نشاطهم. إن ما وقع من تنظيم الجهاد هو انتفاضة شعبية إسلامية، إنه منذ أن جاء رئيس الجمهورية السابق ووقع معاهدة كامب ديفيد التى نتج عنها عزل الشعب المصرى عن الأمة الإسلامية فى جميع أنحاء العالم، وارتبطت هذه المعاهدة بشرط منها أنه لا يجوز لأى مصرى أن يناقشها، ثم تصفية الاتجاهات الإسلامية، ثم جاءت حرب لبنان مما حرّض بعض المفامرين من الأقباط فى مصر لتحقيق حلم قديم بإقامة وطن لهم فى مصر، وبدأ رجال الدين القبطى يدعون إلى ذلك، ثم جاءت ثورة إيران وتصرفات رئيس الجمهورية السابق تجاه الشاه، تلك التى أثارت حفيظة الشباب المسلم، والاتجاه العدائى لثورة إيران، ثم أحداث الزاوية الحمراء وموقف السلطة منها، ثم تصرفات رئيس الجمهورية الأسبق فى خطبه

السياسية التي جرح بها كل مسلم حين وصف لباس المرأة المحجبة بأنه خيمة، ومنع دخولها الجامعة بالزى الإسلامى، وقوله لا دين فى السياسة ولا سياسة فى الدين .

إنه وفقاً لذلك فقد خرج السلطان عن الشريعة الإسلامية والدستور. وإذا كان جوهر القضية هو مروق السلطان عن الشريعة، فإنه من الحق أن يخرج المسلمون على الحاكم، ويقوموه حتى يعود أو يخلع، فلا طاعة فى الكفر ولا طاعة فى الفسق. وإذا كان ذلك من الناحية الدينية، فإنه أيضاً من الناحية القانونية أنه من خلال ممارساته قد أهمل كل القواعد الدستورية حين اعتقل ما يربو على ١٥٣٦ شخصاً، اتخذهم خصوماً حينما عارضوا كامب ديفيد. إن كل ذلك يعطى لجماعة الجهاد الحق فى الخروج عليه، بل ومقاومته أيضاً، وأن الواقعة المعروضة لا تشكل جريمة، ولا ينبغى الخروج بها عن حُدُها الشرعى .

عاشراً: الأسباب المجتمعية

التي دفعت الجماعة الإسلامية لمواجهة الدولة:

ثمة عوامل اجتماعية واقتصادية وسياسية على الصعيدين الإقليمى والدولى ساهمت فى تهيئة المناخ لتصاعد موجة السخط من خلال الدين على النظام الحاكم فى مصر. وفى هذا الإطار سوف تلخص أهم معالمها كما جاءت فى الوثائق التى نحن بصدد تناولها، تلك التى تتمحور فيما يلى :

١ - أن الديمقراطية التى نص عليها الدستور كانت ديمقراطيةً شكليةً، مما أدى إلى طريق مسدود، وإلى العمل السرى .

٢ - عدم إعطاء الشعب الحق في محاسبة الحاكم، ومنح الأخير الحق في اختيار التوجهات التي يراها بغض النظر عن مصالح الشعب، لذا نجده راح يطبق الانفتاح الاقتصادي دون ضوابط، الأمر الذي انعكس على الواقع الحياتي للمجتمع المصري .

٣ - أن الشعب المصري يعيش في حالة معاناة، بينما تصرف بعض الصحفيين لإبعاد رئيس الجمهورية عن الشعب ومتاعبه، لقد عانى معظم الشعب معاناة شديدة، ولعل أبرز هذه المعاناة تتمثل في سكنى القبور والتفاوتات الاجتماعية الكبيرة والفساد، وحالة رئيس الجمهورية ذاته الذي كان يعيش في بذخ واضح، وتنقلاته المستمرة بين الاستراحات والقصور المتعددة .

٤ - غياب شرع الله عن أرض مصر، وعدم تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، مما يعنى أن كل مظاهر المجتمع المصري لا تتفق بأى حال مع قواعد الإسلام. فلا يتصور أن دولة دينها الرسمى الإسلام، ويرخص فيها للملأه ترتكب فيها موبقات، وترخص لمصانع إنتاج الخمر أو محال لبيعها وشربها .

٥ - التصريح لوسائل الإعلام بنشر وإذاعة ما لا يتفق مع شرع الله، أو سفور المرأة بصورة مخالفة لدين الإسلام .

٦ - نشأة الشباب في تناقض إعلامى «تابع» وعاصى، وتغيب عنه مناهج التربية الإسلامية، وتصرف رئيس الجمهورية الأسبق وأعوانه في ثروات البلاد بغير محاسبة أو هدف .

٧ - أن ظروف نشأة الجماعة الإسلامية جاءت بتأييد من رئيس

الدولة السابق لمناهضة التيار الشيوعي في البلاد، ثم محاربتهم فجأة بعد توقيع معاهدة كامب ديفيد لاعتراضهم عليها، وتأييد رئيس الجمهورية السابق لأقباط مصر، وتمكينهم من أرض البلاد وموقف رئيس الكنيسة الأرثوذكسية من اعتراضه على تطبيق الشريعة الإسلامية، وما حدث منه من تصريحات لأبناء طائفته (١) .

٨ - ترك علماء المسلمين الشباب نون توعية دينية حكيمة بقراءاتهم من كتب السلف، رغم ما شاب هذه الكتب من إسرائيليّات، ولم يحاول هؤلاء العلماء جمع هذه الكتب ويبحث ما بها من إسرائيليّات ومحاولات حذفها وتنقيحها قبل أن تصل إلى يد الشباب.

إن الأسباب سالفة الذكر مجتمعة هي التي دفعت الشباب إلى الالتجاء إلى الدين، فالدين ليس مجرد عبادة، وإنما الشريعة الإسلامية كلية تشمل منهاجاً لعلاقة الإنسان بربه، ومنهاجاً لنظام المجتمع فيه صلاح للجميع .

وفي خاتمة هذا الفصل يمكن القول إن النزعة السلفية التي جاءت بها جماعة الجهاد تعدّ واحدة من الردود الفكرية والأيدولوجية في صيغتها المناوئة للنظام الحاكم في المجتمع المصري، ومن ثمّ تعدّ أحد الردود على الانهيار الحضاري الذي لبّ في الجسد الإسلامي والصراع الاجتماعي

(١) للمزيد حول ذلك أنظر :

- نبيل عبد الفتاح، المصحف والسيف : صراع الدين والدولة في مصر، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٨٤ .

والتباينات الاجتماعية القائمة في المجتمع سواء على الصعيد الإقليمي أو
الدولي .

إن منطق الجماعة جاء كردُّ على ذلك المبدأ الذي يدعو إلى أن
الإسلام توقف عن كونه حركةً مشروعياً تاريخيةً. إن هجوم الجماعات
الإسلامية على الدولة، يشكل رد فعلً طبيعياً للدفاع عن الثقافة الإسلامية،
تلك الثقافة التي تشكل اللحمة التاريخية والاجتماعية والفكرية وتحول الكفاح
ضد الأنظمة الحاكمة الموصومة بالجاهلية، أو هي بالأحرى دفاع عن
الجمهير المسحوق. والحقيقة أن طرح المسألة كذلك، يعدُّ دفاعاً عن الذات
وهجوماً على مفهوم الصفوة الحاكمة .

إن ظهور جماعة الجهاد وفق منطقها المطروح، يعود في تصورنا إلى
قشل النظريات الوضعية، وظهور السلفية كدعوةٍ أيديولوجيةٍ تسعى إلى
الانكفاء على الأصول الدينية في صيغتها النصية المعنوية، حتى وإن
استُخدمت كأحد مظاهر الوعي القومي المعادي للنظام الإمبريالي
وإسرائيل .

إننا هنا أمام «أرثوذكسية» دينية متمسكة بالأصول، أو هي بتعبير
آخر بوجماتيقية عقائدية. إن النظر بعمق لجماعة الجهاد يجعلنا نذهب إلى
أنها تكرار للحركات الشعبية والرموزية الدينية التي ظهرت منذ القرن الأول
الهجري، خاصةً فيما يتصل باستخدام الرمز الدلالي لكلمة الجهاد،
باعتبارها أحد أركان الدعوة في الدين الإسلامي .

وإذا كانت الانتفاضة (١) هي إحدى المراحل المهمة من العملية السياسية التي يصطلح عليها بالثورة، وأن الثورة هي الكل، والانتفاضة هي الجزء، فإن نشاط الجماعة الإسلامية يدخل في إطار ما يسمى بالانتفاضة، ولكنها في الوقت نفسه انتفاضة ناقصة أو غير تامة؛ فليس المهم أن تكون الانتفاضة شيئاً درامياً هائلاً، أو مجازفةً من الجماعة بكل وجودها، أو أن تكون على درجة عالية من التخطيط والإحكام، المهم قبل كل ذلك أن تُعَصِّدَ من قِبَل الجماهير .

إذن فلا يكفي لجماعة الجهاد أن تكون ضد النظام الحاكم أو تكون جماعةً سياسيةً منكفئةً على ذاتها، إذ لا بد أن تكون ذات بُعد جماهيري، أي أن عمل تنظيم الجهاد هو عمل ناقص، لأنه شائبة القطيعة الجماهيرية. إن نظرية الانتفاضة تؤكد أن الجماهير أهمُّ شئ في الاندفاع الثورية، وتغيير نظام الحكم والاستيلاء على السلطة. إن الانتفاضة تصبح مفهوماً خاوياً إذا لم يَقم بها الجماهير، ولا بد من تصحيح بُعد التشددات العقائدية التي تقف سداً منيعاً أمام جذب مزيدٍ من الجماهير وتجعل منها قوةً منظمَةً تسعى إلى إيجاد النظام المحجوز .

(١) يقصد بالانتفاضة كل عنف مسلح، مهما يكن شكله، بهدف الاستيلاء على السلطة السياسية وتغيير طبيعة الحكم. في ذلك انظر :

- أميليو لوسو، نظرية الانتفاضة، ترجمة جوزيف عبد الله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د . ت .

إن الانتفاضة هي دائماً انفجار شعبي نتيجة ضغطٍ سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي أصبح لا يطاق. لذا يمكن في خاتمة هذا الفصل الزعم بأن تنظيم الجهاد في أكتوبر ١٩٨١ - تحديداً - كان يشكل جماعةً سياسية متكفئة على ذاتها لم تقترب من مستوى الثورة الشعبية أو حتى الانتفاضة..

الفصل الثاني

خطاب الجماعة الإسلامية في مصر

التصورات النظرية والأيديولوجية

المحتويات

- أولاً - مفهوم الخطاب الإسلامي ودلالاته ٦٢
- ثانياً - الخطاب الديني : وظائفه وعلاقته بالواقع ٦٧
- ثالثاً - التحليل الكيفي للخطاب الإسلامي ٧٠
- رابعاً - مضمون الخطاب الإسلامي : ملاحظات نقدية ٨٥

أولاً: مفهوم الخطاب الإسلامى ودلالاته :

نعنى بمفهوم الخطاب الإسلامى Islamic Discourse أنه عبارة عن منظومة فكرية تحوى كثيراً من المفاهيم والمقولات النظرية الإسلامية التى تعين الفرد فى خبر أحد جوانب الواقع الاجتماعى القائم. أو بقول آخر، إنه المعرفة المنظمة بأحد جوانب الواقع الاجتماعى، التى تسعى إلى تقديم مجموعة من التصورات الإسلامية والدلالات النظرية حول إحدى قضايا الواقع الاجتماعى أو إشكالاته المتباينة التى تم إنتاجها فى السياق التاريخى الذى صاحب الفكر الإسلامى منذ فترة السبعينيات من هذا القرن.

إن تناولنا هنا لمفهوم الخطاب، يعنى أننا سوف نعرض لجملة التصورات النظرية والمفاهيم والمقولات فى منظومة فكرية منطقية نتناول واقعاً تاريخياً وسياسياً واجتماعياً محدداً، فضلاً عما يطرحه من تحديد لطبيعة العلاقة الجدلية بينه وبين البيئة المحيطة، سواء على الصعيد المحلى أو العالمى^(١).

إن استخدام مصطلح الخطاب من خلال السوسيولوجيا، يعنى أننا سوف لا نهمل العملية التاريخية العامة التى يُعدُّ الخطاب جانبها الإبيستمولوجى والنظرى، لذا سوف نتناول هذا الخطاب فى ضوء العلاقة الجدلية بين الجانب النظرى والمعرفى وبين الممارسة الاجتماعية والسياسية، تلك التى سوف تساعدنا فى الوقوف على التحليل الموضوعى التاريخى للبنى الاجتماعية والأيدولوجية.

(١) عبد العليم محمد، ملاحظات نقدية حول دراسة الخطاب السياسى، المنار (مجلة)، العدد السابع، السنة الأولى، القاهرة يوليو ١٩٨٥، ص ١٨.

وفى هذا الصدد ينبغي أن نقيم تمييزاً بين أمرين فى إطار هذا الخطاب، الأول يتعلق فيما يسمى بالخطاب الدينى التقليدى أو المؤسسى، أما الآخر فيرتبط بما يطلق عليه بالخطاب الدينى غير المؤسسى أو الجهادى. ويهم أن نوضح هنا، أنه على صعيد التمييز، فإنه يمكن أن نقيم تفرقة بين عدة خطابات داخل كل من هذين الخطابين .

وعلى الرغم من أن مفهوم الخطاب يشير إلى مصطلح شامل، حيث يحتوى على مجموعة من العناصر التى تعين على فهم مجموعة الأشكال والتصورات والإدراكات النظرية، فإن الخطاب الإسلامى يفتقر لكونه نظرية متكاملة. لذا سوف نجد أن تحليل وفهم ذلك الخطاب، يوضح أنه نوع من الأيديولوجية الخاصة. إن استخدام الخطاب كأداة لتحليل الجماعة الإسلامية^(١) يعنى أننا سوف نقف بصورة مباشرة على مضمون ومنطلقات وآليات وتصورات هذه الجماعة وأشكال وطرق إدراكها للمجتمع^(٢) .

(١) الجماعة الإسلامية هى ذلك التيار الإسلامى الذى ظهر فى أوائل السبعينيات، والذى أظهر مواقف مناهضة لنظام السادات ومن لسياساته خاصة على الصعيد الوطنى، تلك التى أفضت إلى معاهدة الاستسلام أو ما يطلق عليها اتفاقية كامب ديفيد. وتقوم هذه الجماعة على مجموعة من المقولات التى تتمثل أهمها فى : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والجهاد فى سبيل الله، والمشاركة فى جميع الأنشطة والمجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. لقد أطلقت المؤسسة الأمنية على الجماعة الإسلامية اسم تنظيم الجهاد عقب أحداث أكتوبر ١٩٨١، لتغيير الناس منها، مستغلة فى ذلك الهجوم على هذه الفريضة. والواقع أن هذه التسمية تسمية خاطئة لأنها تحصر الجماعة الإسلامية فى فريضة واحدة وهى الجهاد.

(٢) الخطاب وفق هذا المعنى يشير إليه على أنه قد يكون مكتوباً أو ملفوظاً، أو منظوماً بطريقة منطقية حسب اتجاه محدد، وظروف اجتماعية تاريخية محددة. فى ذلك انظر:

وباعتبار أنه ليس هناك أساس واحد للخطاب الإسلامى، حيث تتعدد التيارات والاتجاهات المتصارعة، فإن بإمكاننا القول فى هذا الإطار إن البنية المعرفية لهذا الخطاب تستند إلى أطر مرجعية إبستمولوجية مغايرة، لذا نجد أن هذا التباين يرجع إلى هذه الأطر، بقدر ما لا يعود إلى فئات أو طبقات اجتماعية معينة، أى أنها تخلع عن نفسها طبيعتها كنزوات فاعلة.

إن بُعد الخطاب الدينى عن التعبير عن ذوات فاعلة فى المجتمع، يجعل من هذا الخطاب مجرد تكييف أيديولوجى لتراث كان يعتبر استجابة لواقع اجتماعى مختلف، الأمر الذى جعل أصحاب هذا الخطاب الإسلامى يعبرون عن ذاتيتهم من خلال إطار مرجعى عاش ونما فى زمن غابر^(١).

إن قراءة الخطاب الإسلامى قراءةً سوسيولوجيةً، تعتبر مهمةً صعبةً خاصةً وأننا نسعى إلى رصد الأفكار النظرية والممارسات العملية التى تسمح لنا بمعرفة ما يلى :

أولاً : الوقوف على التوجهات الفكرية للخطاب الإسلامى عبر سياقاته التاريخية المتباينة، تلك التى تعكس صياغاته الفكرية والنظرية وتطبيقاته العملية.

= حيدر إبراهيم على، أزمة الإسلام السياسى : الجبهة الإسلامية القومية فى السودان نموذجاً، مركز البحوث العربية، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩١، ص ١٧٧ .

(١) على الرغم من تباين الواقع الاجتماعى الذى ينطلق منه الخطاب الدينى فإن هناك قاسماً مشتركاً ونظماً مرجعياً واحداً يجمع بينهم ألا وهو القرآن الكريم، ولكن ما يجعلهم يتباينون، أن هناك تناولات مختلفة لهذا القرآن ومنهجيات متباينة، تطفى عليها المصالح والانتماجات الاجتماعية. فى ذلك يمكن الرجوع إلى :

- محمد حافظ دياب، سيد قطب : الخطاب والأيديولوجيا، دار الثقافة الجديدة، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٧، ص ١٥ .

ثانياً : التعرف على الظروف التاريخية الاجتماعية التي ساهمت في نشأة وتطور هذا الخطاب، ناهيك عن الكشف عن الشروط الثقافية والسياسية والأيدولوجية التي تسهم في إعادة إنتاجه .

ثالثاً : إن قراءة الخطاب الإسلامى تكشف عن مدى ارتباطه بالعلاقات والصراعات الطبقيّة والوطنية، بقول آخر، إن تناول هذا الخطاب يعنى الكشف عن العلاقة بين الدين والأيدولوجيا والحركات الدينية والصراع الطبقي والوظائف الاجتماعية للخطاب الدينى، وموقفه من قضايا الانتماء الطبقي والديمقراطية والثورة (١) .

ومن الأهمية بمكان أن نشير إلى أن الخطاب الإسلامى - وفق هذه القراءة - محكومٌ بدلالات هذه التسمية، فهو ليس إسلامياً، بقدر ما هو إسلاموى^(٢) - إن جاز لنا هذا التعبير - لأنه يحمل معنىً أيدولوجياً، أى أن الخطاب هنا هو خطاب أيدولوجى نو مسحة دينية بالدرجة الأولى، لذا يمكن هنا أن نستعمل ترادف الخطاب بالمعنى الأيدولوجى أو الإسلامى أو الإسلاموى، فإذا كانت الأيدولوجيا - هنا - تعنى مجموعةً من التصورات والأفكار والمعتقدات التى تسعى إلى وظيفة محددة هى التبرير، وأنها تُعدُّ تباعداً بينها وبين الحقيقة القائمة، وأنها مجموعة من الأدوات الذهنية المستعملة فى واقع آخر، فإننا هنا نرى أن الخطاب الإسلاموى هو

(١) محمد حافظ دياب، المرجع السابق ص ٢٦ .

(٢) إن إضافة واو وياء النسب يعنى التقليل من قيمة هذا الخطاب، لأنه يدخل فى ذاته البعد الأيدولوجى، وينأى عن الفكر التقليدى، أو هو بالأحرى امتداد تقليدى لفكر توفيقى يسعى إلى تأييد وجوده على الصعيد السياسى .

أيديولوجيا دينية، أو بالأحرى هو خطاب إسلامي بمرجعية دينية تمت في واقع وظروف تاريخية مخالفة تسعى من خلالها إلى الكفاح مرةً أو إلى الاحتجاج مرةً أخرى^(١) .

إننا من خلال تحليل الخطاب الإسلامي نرى أنه جاء انعكاساً للحاجة والصراعات وللآمال الراهنة لجماعة منفصلة عن الواقع. لذا نجد أن الخطاب يخلط بين الأرثوذكسية الدينية التي تحصر اهتماماتها في دراسة الإسلام من خلال الفقهاء والنصوص الموروثة، وبين الخيالات الاجتماعية التي تجاهد من أجل تكريس خطٍ فكري يسعى إلى السيطرة على الواقع الاجتماعي القائم. إننا في ذلك يمكن أن نطلق على هذا الخطاب ما يسميه «أركون» بسوسيولوجيا الإخفاق أو ما يطلق عليه بالخطاب الخفي^(٢) .

ثانياً : الخطاب الديني : وظائفه وعلاقته بالواقع الاجتماعي :

تتباين رؤى الخطاب الديني في علاقته بالواقع الاجتماعي الاقتصادي بتباين منطلقاته الفكرية والإبستمولوجية (المعرفية) التي تقوم بتحليل ورصد

(١) حيدر إبراهيم علي، أزمة الإسلام....، مرجع سابق ص ١٧٨، ويمكن الرجوع أيضاً إلى :

- عبد الله العروي، الأيديولوجيا العربية المعاصرة، دار الحقيقة، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٧٩، ص ٢٤ .

- محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، مركز الإنماء العربي، بيروت ١٩٨٦، ص ٣٤ .

(٢) محمد حافظ دياب، سيد قطب...، مرجع سابق ص ٢٣. وأيضاً : محمد أركون، الفكر العربي، ترجمة عادل العوا، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ١٩٨٢ .

هذا الواقع، وبغض النظر عن هذا التباين والتعدد، إلا أن هناك إجماعاً على أن الخطاب الدينى هو الأيديولوجيا، أو بعد أدنى هو جزء منها. ولما كان ذلك كذلك، فإن الخطاب الدينى يعد جزءاً من الواقع القائم فى لحظة تاريخية محددة، إذ يقدم فى إطاره تصوراً للماضى والحاضر والمستقبل. ووفق ذلك فالخطاب الدينى هو تصور نظرى للواقع القائم سواء فى تطوره التاريخى أو اللحظى أو الاستشرافى^(١).

والواقع أن إنتاج الخطاب الدينى الإسلاموى يخضع لمجموعة من الشروط الاجتماعية والتاريخية، ولكونات ثقافية ومادية. أى أنه يخضع للطريقة التى ينتج بها الناس حياتهم المادية، أو التى يتصورون بها حياتهم، فضلاً عن الشروط الاجتماعية المصاحبة لها، تلك التى نعى بها قيام فئة اجتماعية محددة تعمل على صياغة الخطاب الدينى، وتطرحه على صعيد الواقع المعاش.

ويهم أن نشير إلى أن الخطاب الدينى كإنتاج ثقافى عقلى، وباعتباره جزءاً من الأيديولوجيا - أو هو كلها - لا يعنى أنه يسعى إلى تسويغ المشروعية للجماعة الحاكمة، بقدر ما يسعى إلى تفضيل المصالح الخاصة للجماعة الإسلامية على أنها المصالح العليا. وهو بهذا المنطق نجده يسعى إلى إنهاء مجموعة التناقضات الاجتماعية فى المجتمع، تلك التى تقف حجر عثرة أمام تحقيق أدوارها^(٢).

وتأسيساً على ما سبق، فإن الخطاب الإسلاموى ليس نتاجاً لفكر فرد واحد، وإنما هو من صنع مجموعة من الشباب المتدينين، هؤلاء الذين

(١) عبد العليم محمد، ملاحظات نقدية ...، مرجع سابق، ص ١٩.

(٢) المرجع السابق مباشرة، ص ٢٠.

يمكن أن نطلق عليهم «محررو الخطاب»، أو على حسب تعبير «جرامشي» بالمتقنين العضويين. ويتبغى ألا يفوتنا أن نذكر أن الخطاب الدينى وفق المعنى المطروح ليس إلا نتاج شروط مجتمعية، أو قل إنه نتاج تفاعل هؤلاء المتقنين مع السياق المجتمعى، أى أنه من الصعوبة بمكان أن نفصل المحتوى الاجتماعى لهذا الخطاب عن الواقع الطبقي .

وباعتبار أن الخطاب الإسلاموى لم يأت من فراغ، وأنه نوع من الأيديولوجيا، فإنه فى الوقت ذاته ما هو إلا قناع يخفى وراءه دوافع واتجاهات أيديولوجية معينة، أو بالأحرى إنه جاء ليخدم وظيفة اجتماعية تسعى إلى إعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية. أو بقول آخر إنه ليس فقط منظومة فكرية إبستمولوجية، بل هو نوع من الممارسة العملية والتطبيقية والتنظيمية، تلك التى يمكن أن نستخدم عليها بالأيديولوجيا المستترة (١) .

وإذا كانت دراسة أى خطاب تتحدد فى استكشاف مضمونه النظرى ومناهجه وآلياته المتعددة التى تتعامل مع الواقع الاجتماعى فى لحظة تاريخية معينة، أو بقول آخر تتحدد فى كشف الوظيفة الاجتماعية والتاريخية، فإن مناهجه تتعدد وفقاً لاعتبارات أية دراسة. ولما كان تحليل المضمون من المناهج العلمية الأكثر استخداماً فى تحليل ودراسة أى

(١) إذ كانت أيديولوجيا الجماعات الإسلامية تتحدد فى الظاهر بالعمل بالأمور الفقهية، فإن ما هو مخبئاً أو مستتر، نجده يسعى إلى إعادة إنتاج الواقع الاجتماعى؛ أى تبديله وتغييره. انظر فى ذلك :

- محمد حافظ دياب، سيد قطب....، مرجع سابق ص ١٨١ .

- رفعت سيد أحمد، الدين فى الخطاب السياسى الناصرى، المنار (مجلة)، العدد السابع، مرجع سابق ص ٢٨ - ٥٨ .

خطاب، حيث يسعى إلى كشف المحتوى النظرى والمعرفى للخطاب، فضلاً عن توضيح برامج ووسائل الاتصال المختلفة للخطاب، فإننا هنا سوف نستند إلى تحليل مضمون كیفى للخطاب، ويعتمد على تحليل مقولاته ومفاهيمه للوقوف على السياقات النظرية التى توجهه، مستخدمين فى ذلك أسلوب التحليل الغرضى أو الاستشهادى الذى يعتمد على الاستعانة ببعض شواهد ومقولات نصوص الخطاب ذاته.

إننا من خلال هذه الآلية نرى أنه من خلال الخطاب الإسلامى يمكن فهم الواقع الاجتماعى وأنماط التفاعل الاجتماعى الحالية والمحتملة على الصعيد النظرى والأيدىولوجى والواقعى. وفى ضوء هذا الهدف فإننا سوف نتناول بالتحليل والرصد لما هو مكتوب فقط ، إننا سنتناول أهم وثائق الجماعة الإسلامية، تلك التى يطلق عليها المثقفون العضويون «بميثاق العمل الإسلامى»^(١)، والواقع أن تحليلنا للخطاب الإسلامى لا يكتفى بذلك فحسب، بل سيتناول بالتحليل أيضاً بعض إصدارات الجماعة الإسلامية.

ثالثاً: التحليل الكيفى للخطاب الإسلامى:

يرى ميثاق العمل الإسلامى، أو مانيفستو الجماعة الإسلامية، أن المجتمع المصرى يعيش فى زمن الصحوة الإسلامية التى يقودها الشباب المتدين منذ السبعينيات فى مصر من أقصاها إلى أقصاها، وأنهم يخوضون

(١) ناجح إبراهيم وعاصم عبد الماجد وعصام الدين درباله، ميثاق العمل الإسلامى، المعالم الشرعية والفكرية للجماعة الإسلامية، فبراير ١٩٨٤ .

معركة طاحنة ضد المارد الجاهلى. وهنا يقصدون بالمارد الجاهلى «الدولة أو النظام الحاكم»، وفى ذلك يقول الميثاق :

«... إننا عشنا الصحوة الإسلامية المباركة التى قادها الشباب المسلم فى السبعينيات.. فى جامعات مصر ومدنها وقراها.. إننا خضنا مع الطليعة المقاتلة المواجهة التى تمت بين الصحوة الإسلامية ممثلة فى شباب الجماعة الإسلامية وبين المارد الجاهلى...» (١) .

وأن هذه المعركة لن تثمر أو تقضى إلى نصرٍ دون عودةٍ إلى اقتفاء أثر الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام. ليس هذا فحسب، بل أيضاً أن اقتفاء أثر النبى أمر ضرورى ومهم للعودة إلى الإسلام، الذى أصبح غريباً فى دار المسلمين.

ويذهب ميثاق العمل الإسلامى إلى أنه حرصاً على العمل الإسلامى أن يخوضه الشباب بغير وضوح، وحتى لا تتجذب الحركة الإسلامية بعيداً عن أهدافها، فكان لابد من تجميع هؤلاء الشباب فى حركة إسلامية واحدة، والحقيقة أن هذه الحركة لن تولد ما دام المسلمون يعملون فى فرق مبعثرة، وأن ولادة هذه الحركة الإسلامية الواحدة يتطلب تجميع القوى لا استنفارها، وحتى يتم ذلك لابد من الإجابة على ما يلى :

١ - ما هى غايتنا التى نسعى إليها ؟

٢ - ما هى عقيدتنا التى ندين بها ؟

٣ - ما هو فهمنا الذى نتحرك به ؟

(١) المرجع السابق مباشرة ١ - ٨ .

٤ - ما هي أهدافنا ؟

٥ - ما هي طريقنا لتحقيق هذه الأهداف ؟

٦ - ما هو زادنا ؟

٧ - لمن يكون ولاؤنا، ومن نعادي ؟

٨ - على ماذا نجتمع ؟

والواقع أن ميثاق العمل الإسلامى يرد على كل هذه التساؤلات ويوضح الملامح الشرعية والفكرية التى على الجماعة المسلمة أن تلتزم بها، وبذا يمكن أن نعتبر الميثاق هو الخط الفكرى لخلاصة التجربة التى عاشتها الجماعة الإسلامية فى ضوء المواجهة التى خاضت غمارها ضد الدولة فى أكتوبر ١٩٨١، أو بحسب تعبير الميثاق، ضد « أعداء الدين » .

١ - غاية الجماعة الإسلامية:

يرى ميثاق العمل الإسلامى أن رضا الله تعالى أعلى وأسمى من كل نعيم، حتى ولو كان هذا النعيم متمثلاً فى وعد الله بالجنة. وهم فى ذلك يتبعون أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم. إن رضا الله تعالى غاية تتصاغر أمامها، بل تتلاشى كل الغايات. فمن وجد رضا الله ، وجد كل شئ، وأنهم فى ذلك يرجون من الله رضاه طمعاً أن يدخلوا يوم القيامة فى عباده الصالحين (يا عبادِ لا خوفُ عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون. الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين. ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحببون.) (١) .

(١) سورة الزخرف الآية : ٦٨ - ٧٠ .

ويزعم ميثاق العمل الإسلامى أن كل ما أصاب المسلمين اليوم من تدهور وذل ومسكنة وتدنٍ لا يرجع إلى أى شئ، إلا لبعد المسلمين عن طاعة الله. فلا نظام دولى، أو نظام تجارى غير متكافئ، ولا طبقات حاكمة مستغلة، هو الذى جعل المسلمين فى مرتبة متدنية، ولكن الذى وضع المسلمين فى هذه المنزلة ليس سوى بعدهم عن الله وإعراضهم عن تطبيق شرعه. وهم فى ذلك يرون «.. أن الأمر جد خطير، لأن ترك المسلمين لغايتهم التى ما خلقوا إلا لها، وإعراضهم عنها، لا يعنى فقط أنهم سيعيشون فى ذلّة فوق سطح الأرض، كما هو حادث اليوم. أى أنهم سوف سيصيرون إلى خطر عظيم يوم القيامة كل بحسب إعراضه وبعده..» (١).

إن رضا الله تعالى ليس له معنى إلا عدم اختيار سخط الله تعالى، وليضحك الناس على أنفسهم، وليسموا غاياتهم الباطلة أى تسمية عصرية تحلوا لهم، فهى بأى حال لن تعدوا أن تكون سخطاً من الله تعالى. فليسمها هذا سعياً وراء الاشتراكية، وليكسها ثوب الديمقراطية، وليخلع عليها اسم الرأسمالية، أو القومية العربية، أو ينادى عليها بالعلمانية..». إن كل الدعاوى أو الاختيارات فى نظر الجماعة الإسلامية هى بُعد عن الله وبُعدٌ عن الحق، وهى دعاوى واختيارات باطلة «... ما داموا قد تركوا الحق (فماذا بعد الحق إلا الضلال)» (٢).

والمدقق فى تصورات هذا الميثاق يجد أنه لا يفرق بين تكوين اجتماعى اقتصادى أو اختيار أيديولوجى أو نظام اجتماعى، فهو يسوئ بين

(١) ميثاق العمل الإسلامى، ص ١٨.

(٢) سورة يونس، الآية : ٢٢ .

الديمقراطية والرأسمالية والاشتراكية والقومية والعلمانية ويعتبرها ضلالات دون الوقوف على المعنى العلمى، أو حتى الاصطلاحى لهذه الأشياء .

ويطلق الميثاق تحذيراته، فيرى أن العودة عن هذه الأشياء جميعاً هو الذى يجعل رضا الله يلف المسلمين وينقذهم من التذنى والسُّحْق وأن هذه العودة يلزمها شيئان، الأول هو الإخلاص لله، والثانى هو متابعة النبى فى العمل. وتؤكد الجماعة الإسلامية من خلال ميثاقها أن الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا أن يُقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم وتُتبع سنته وتُلزم طريقه. إن تحقيق المتابعة هو الضمان الوحيد للاستقامة والنجاة من سبيل الضلال : (... وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله..)(١) إن ضياع المسلمين - من وجهة نظر الميثاق - وتذنى أحوالهم يرجع فى الدرجة الأولى إلى البعد عن فلك الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن ثَمَّ فى عدم متابعة أثره وتبنى مناهج ونظريات أرضية (٢) .

٢ - عقيدة الجماعة الإسلامية :

يوضح ميثاق العمل الإسلامى أن العقيدة ليست ادعاءً يدعى، كما أنها ليست مجموعة من القضايا الكلامية، أو ادعاءات ترددها الألسن، أو تحبيراً لمجلدات، وإنما هى يقين يستقر فى القلوب، إنها إلحاح العمل الصالح المقترن بالإيمان فى القرآن. كما أن للعقيدة أثراً مادياً لا بد من

(١) سورة الأنعام، الآية : ١٥٣ .

(٢) ميثاق العمل الإسلامى، ص ٢٥ - ٢٦ .

ظهوره حالياً ليبرهن على صدق دعوى الإيمان، وإلا فهي دعوى لا دليل على صحتها أو صدقها (... إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية...) (١) .

ويرى الميثاق أيضاً أن العقيدة هي نوع من الإخلاص، كما أنها في الوقت نفسه ضد الرياء، لأن المسلم مأمور أن يخلص في كل عمل إلى الله، كما في المقابل عليه أن يتخلص من كل صور الرياء، ويخطئ من يترك العمل الصالح مخافة الرياء، بل عليه أن يعمل وأن يخلص (... فليعمل عملاً صالحاً، ولا يُشرك بعبادة ربه أحداً) (٢) فالإخلاص ضروري ومطلوب لكل نفس حتى تتخلص من ذاتيتها وهواها، وحتى يصير مرادها هو ما أراده الله منها. إن الإخلاص وفقاً لذلك يعد أحد شروط قبول العمل، لأن الشرط الثاني يتمثل في اقتفاء أثر النبي ومتابعته .

إن الجماعة الإسلامية من خلال خطها الفكري يلخصون عقيدتهم في ضرورة الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح، والالتزام بما شرع الله وأنهم لا يستطيعون الالتزام بالعقيدة إلا من خلال الإخلاص، وهم في ذلك يضربون الأمثال من الماضي للتدليل على مدى ارتباط العبد بربه مخلصاً. إنهم يرون أن ما هو حادث اليوم من موالاتة الحكام للشرق والغرب والذلة لهم يدخل في باب الكفر، كما أن الولاء والحب للنصارى واليهود،

(١) سورة البينة، الآية : ٧ . راجع أيضاً في هذا المعنى الآية ٨٨ من سورة الكهف، والآية ٦٢ من سورة البقرة، والآية ٦٩ من سورة المائدة، والآية ٦٠ من سورة مريم، والآية ٤٨ من سورة الأنعام، والآية ٨٢ من سورة طه، والآية ٦٧ من سورة القصص، والآية ٢٧ من سورة سبأ .

(٢) سورة الكهف، الآية : ١١٠ .

والعداء والحرب للمسلمين، وتبديل الحكام لشرع الله، كل ذلك يدخل فى باب عدم الإخلاص لله ورسوله.

إن صور عدم الإخلاص تتجلى اليوم فى مناظر شتى لعل أهمها من وجهة نظر الميثاق خلع لقب الخليفة والحاكم بأمر الله على الحكام غير المسلمين، فضلاً من موالة الشعوب الإسلامية للحكام الكفرة، والتحاكم إلى غير شرع الله، تلك التى تتمظهر فى صور الخروج عن شرع الله مثل ظهور ما يسمى بالعلمانية والطرق الصوفية. إن كل ذلك يدخل فيما يسمى بالضلالات والبدع. ولما كانت هذه الجماعة تبرا إلى الله من كل بدعة تخالف عقيدة السلف الصالح، فإن عقيدتهم تتلخص فيما يلى :

١ - الإيمان قولاً باللسان وتصديقاً بالجنان وعمل بالأركان، وهو يزيد وينقص، يقل بالمعصية ويزيد بالطاعة .

٢ - إن الله هو المستحق بالعبودية والخوف والرجاء والذكر والدعاء والحب والاستعانة والتفرغ والخضوع والإنابة.

٣ - لا نتبرك بشجر ولا طير ولا حجر ولا نتوسل إلى الله تعالى إلا باسم من أسمائه أو صفة من صفاته أو بعمل صالح عملناه أو بدعاء رجل صالح حى، ولا نطوق بطير ولا نذبح لجن، ولا ولى، ولا ننذر لأحد من الخلق، ومن فعل شيئاً من ذلك، فقد أتى فعلاً من أفعال الشرك .

٤ - لا نرضى بغير الله حكماً ومشرعاً، كما لا نرضى بغيره رباً. فمن خلق يملك، ومن ملك يحكم، وينهى ويأمر، ويقضى ويشرع، فهو أعلم بما يصلح .

(... ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) (١) .

إن العقيدة وفق ما جاء به ميثاق العمل الإسلامى تجعل الأمر لله كله، وتجعل الإقرار بذلك شرطاً من شروط الإيمان، وتجعل الالتزام به من متطلبات الإيمان وعلامات صدقه. أى أن العقيدة هنا هى رد كل شئ إلى الله انطلاقاً من قول الله تعالى : (فإن تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر)(٢) .

نفهم من ذلك أن ميثاق العمل الإسلامى ضد كل ما هو أرضى وكل ما يأتى من بشر، وهم فى ذلك يرون أن ثمة فارقاً كبيراً بين ما يأتى من الله ورسوله، وبين أى منهج أو نظرية أرضية. إن هذا الأمر من وجهة نظرهم هو الذى يُخرج المسلمين من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة وعظمتها .

٣- فهم الجماعة الإسلامية:

إن الفهم من خلال ميثاق العمل الإسلامى يتحدد بالأساس فى ضرورة فهم الإسلام بشموله، كما فهمه علماء الأمة الثقات المتبعون لسنة النبى صلى الله عليه وسلم وسنة خلفائه الراشدين رضى الله عنهم. ووفقاً لهذا التعريف يرسم الخط الفكرى (الميثاق) للجماعة الإسلامية الفهم وفق الأمور التالية :

١ - أن مفهوم الإسلام وفهمه تغير تغيراً شديداً، فلقد أضحى وكأنه

(١) سورة الملك، الآية : ١٤ .

(٢) سورة النساء، الآية : ٥٩ .

قطعة صلصالٍ تدور بين الأيدي، وكلما تلقفتها يدٌ سارعت بتغيير شكلها وصيغتها .

٢ - لقد صار من الطبيعي أن تسمع عن «مسلم اشتراكي» وآخر رأسمالي، وآخر تقدمي وليبرالي، وعلماني، وآخر لا تروقه بعض الأحكام التي جاء بها الإسلام وضاعت صيغة الإسلام التي أرادها الله لهذا الدين، هذا وقد عاد الإسلام غريباً .

٣ - لقد امتدت أيدي الأعداء مشوّهة لهذا الدين في عقول المسلمين مزعزعة لثقتهم به، هادفة من وراء ذلك صرف المسلمين عن دينهم، وتضليلهم.

٤ - إن الإسلام هو الاستسلام والخضوع والانقياد طوعاً لله رب العالمين، باتباع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من أوامر ونواهٍ وحدود وقواعد تنظم حياة الناس وتنظم كل ما يلزم البشر في كل زمان ومكان بما يكفل لهم تحقيق خيرى الدنيا والآخرة .

٥ - إن فهم الدين لا بد وأن ينطلق من أن الإسلام ينظم داخل منهجه كل ما تحتاجه البشرية، باعتبار أنه دين شامل كامل، وأنه بنيان متماسك ومتناسق مختلف عن كل ما هو أرضى .

لهذه الأسباب وذلك الفهم، فهم يرون ضرورة دعوة الإسلام لكل الناس : للكافر كي يسلم، وللعاصي كي يتوب، الأمر الذي يجعلهم ينطلقون من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإلى الجهاد حتى تنزل دولة الشر^(١).

(١) ميثاق العمل الإسلامى، ص ٦١ - ٦٤ .

وتقوم خلافتهم التي تحكم بشرع الله وبسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. وتأسيساً على الطرح السابق، فإن ميثاق العمل الإسلامي، أو أيديولوجية الجماعة الإسلامية ترى أنه نتيجةً لبعث دولة الشوك عن حدود الله والعمل بما هو أراضى، فإنهم يديرون معركتهم مع «الجاهلية»، وأن هذه المعركة لن يكتب لها النصر إلا باتباع السلف الصالح، ذلك الاتباع الذى يعد صمام الأمان من الزيغ والضلال^(١).

٤ - هدف الجماعة الإسلامية:

إن هدف الجماعة الإسلامية يتحدد بالأساس فيما أمر به الشارع سبحانه وتعالى : (أن أقيموا الدين)^(٢). ذلك الهدف الذى يتمثل فى إقامة الدين كله فوق كل شبر من الأرض، وفى كل مجتمع. إن دعوتهم ليس لها حدود أو أوطان، وإنما تحمل صفة الكونية وينبغى أن نذكر فى هذا الإطار أن دعوتهم لإقامة الدين لا تتمثل فى إقامة بعض شعائره فحسب، وإنما إقامة الدين ليشمل الحياة كلها فى كل مفاهيمها. إن إقامة الدين من خلال هذه الجماعة يتمثل فى تحقيق أمرين، الأول هو تعبيد الناس لربهم، أما الآخر فيكون فى إقامة خلافة على نهج النبوة.

إن إقامة الدين من خلال هذه الدعوة يأتى بحسبان الخلق عبيداً لله وأن الأرض ملك لله تعالى، لذا فإن الناس مطالبون بالدخول فى دين الله، ومن ثم وجب القضاء على النظام الحاكم المهيمن الذى لا يعمل بدين الله،

(١) ميثاق العمل الإسلامى، ص ٦٦ - ٧١ .

(٢) سورة الشورى، الآية : ١٣ .

والذى بالتالى هو غير إسلامى ويتحاكم بغير الدين. إن هذه الأنظمة والحكومات ما هى إلا أنظمة كافرة وجاهلية وساقطة الشرعية، لذا وجب أن تقوم خلافتنا لتخليص البشرية من صور الظلم والفقر. والواقع أن آليات هذه الجماعة تتمثل فى ثلاث صور رئيسية هى : الدعوة والحسبة والجهاد^(١).

٥ - طريق الجماعة الإسلامية :

يرسم ميثاق العمل الإسلامى طريق الجماعة الإسلامية، فيرى أن فهم الإسلام بشموله، يعد المقدمة الضرورية للعمل به بشمول بون انتقاص، إذ أن فهم الإسلام فهماً خاطئاً سوف يؤدي حتماً فى طور العمل إلى حركة قاصرة تجعل من الإسلام حركةً متعديةً تخرج عن الحدود وتمضى وفق الهوى وتخوض غمار مجالات لم يشرعها الله .

وفى معرض الحديث عن الطريق الذى يجب على الحركة الإسلامية أن تسلكه للتعامل مع الواقع حولها، تقول : «... إننا خلال سعيينا للإسلام سنجد أن هناك من يتفق معنا عقيدةً وفهماً وغايةً وهدفاً فنسارع لنمد يدنا لنعمل سوياً فى جماعة واحدة.. وسنجد أيضاً من يترك المعروف أو يأتى بالمنكر، فعلينا رده إلى الصواب أو رده عن غيئه.. سنواجه المعاندين بشتى صنوفهم وعلى اختلاف غاياتهم ومذاهبهم وسيكون الجهاد هو سبيلنا معهم...»^(٢).

(١) ميثاق العمل الإسلامى، ص ٧٥ - ٩٧ .

(٢) ميثاق العمل الإسلامى، ص ١٠٠ . راجع أيضاً فى ذلك إصدارات الجماعة الإسلامية، حتمية المواجهة، د . ت، ص ٥ .

والتأمل للطرق والوسائل التي تطرحها الجماعة الإسلامية كصيغ للتعامل مع الواقع بكل متطلباته وتحدياته، وفي كل زمان ومكان سيجدها، كما سبق أن أشرنا قبل قليل، تتمحور حول ثلاث فرائض هي : الدعوة والأمر بالمعروف مع النهي عن المنكر والجهاد، وأن هذه الوسائل أو الغايات لا يمكن أن تتم إلا من خلال «الجماعة»، تلك التي يقصد بها العمل الجماعي المنضبط شرعاً والمنظم حركةً.

إن طرح الجماعة الإسلامية للأساليب آنفة الذكر (الدعوة والحسبة والجهاد) كطرق للتعامل مع الواقع، وكأليات لتغييره يعنى بداهة أنها ترفض ما سوى ذلك من أساليب، ما أنزل الله بها من سلطان، وترفض ما عدا ذلك من طرق مبتدعة لم يأت بها الإسلام ولم يأذن بها الله. إنهم يرفضون كل الوسائل الأخرى التي تأتي بها الأنظمة الحاكمة أو على حد تعبيرهم التي من صنع الجاهلية، كأنوات في العمل وكأليات للتغيير سواء من خلال مؤسساتها أو من خلال تنظيماتها. وهم في ذلك يذهبون : «... لا يصح أن نقتبس طرقاً وأساليب من صنع الجاهلية ومن وحى منهجها للتعامل بها، وندعى أننا ساعون لنصرة ديننا ماضون لتحقيق أهدافنا. بل إننا بذلك نساعد الجاهلية في سعيها للوصول إلى غاياتها وتحقيق أهدافها..»^(١).

إن الوسيلة في الإسلام ليست شيئاً مبتكراً أو خارجاً عن شريعته، فهي من صميم منهجه، كما أنها في الوقت ذاته ليست أمراً ثانوياً يمكن استبداله أو الاستغناء عنه. إن أية وسيلة أو منهج يأتي من قبل البشر

(١) ميثاق العمل الإسلامي، ص ١٠١ - ١٠٨ .

مرفوض لأنه يباعد بين العقيدة الإسلامية الحقيقية وبين الناس، لذا فهو نوع من العمالة، ومظهر من مظاهر الموالاة للجاهلية .

إن البشرية اليوم بكل مجتمعاتها ونظرياتها ونظمها ومناهجها ما هي إلا نتاج دعاوى باطلة، وأديان جاهلية، ظلت تبتُّ دعوتها حتى صار الأمر إلى ما صار عليه اليوم. لذا فإن مهمتهم تتلخص في تعبيد الناس لربهم، وحتى يتم ذلك لابد وأن يدفعوا الثمن، يدفعوا كل ما هو غالٍ من أجل رضا الله ورسوله، أى أن الجهاد حتمية مفروضة عليهم، حتمية يفرضها الشرع وتُمليها طبيعة الدين، حتمية تدفعها طبيعة الجاهلية القائمة .

ويوضح ميثاق العمل الإسلامى أن الجهاد فى سبيل الله سوف يخرج الإسلام من المذلة إلى العِزة، وأن هناك مجموعة من الأسباب تطرح قضية الجهاد بقوة فى هذه الأيام، وهذه الأسباب هى :

١ - يمليه علينا الإجماع المنعقد على وجوب خلع الحاكم الكافر. أليس حكام بلادنا قد كفروا باستبدال الشرع وبحكم الخلق بشرع جاهلى. أليس الجهاد واجباً اليوم لخلع هؤلاء الحكام .

٢ - يمليه علينا الإجماع المنعقد على وجوب قتال أية طائفة ذات شوكة تمتنع عن شريعة الله. أليست الطوائف المهيمنة على بلادنا ممتنعة عن أكثر شرائع الإسلام، أليس الجهاد واجباً اليوم لإجبار هذه الطوائف على التزام ما امتنعت عنه من شرائع الله .

٣ - يمليه علينا الإجماع المنعقد على وجوب تنصيب خليفة للمؤمنين. أليست الخلافة غائبةً عنا اليوم، ألم يسقطها أعداؤنا بالسيف والقهر. أليس الجهاد هو طريق عودتها .

٤ - يملية علينا الإجماع المنعقد على وجوب الدفاع عن ديار الإسلام واسترداد ما استولى عليه الكفار منها. أليس الجهاد واجباً لاسترداد فلسطين والأندلس وبلدان البلقان والجمهوريات الإسلامية السوفيتية وغيرها.

٥ - يملية الإجماع المنعقد على وجوب تخليص أسرى المسلمين. أليست السجون والمعتقلات في كل بقاع الأرض تعج بالآلوف من أهل الإسلام. أليس الجهاد واجباً لإنقاذهم (١) .

إنه لكل ما سبق يرى ميثاق العمل الإسلامي أنهم مأمورون بالقتال لتخليص ما نحياء اليوم من ذل ومهانة ولإنماء مرحلة ما يسمى «بالاستضعاف». إن الجهاد حتمية «غلبتها» طبيعة هذا الدين، وطبيعة الجاهلية. إنهم يرون أن حتمية الجهاد لا يمكن أن تتم إلا من خلال الجماعة والعمل الجماعي، الذي هو في نظرهم ترجمة واحدة ووحيده لأمر الله ورسوله ألا وهو الوحدة والاعتصام .

إن المدقق في فريضة الجهاد التي تسعى إليها الجماعة الإسلامية بقوة يستطيع أن يستدل منها على أنها تسعى لإقامة الدين في الدنيا، الذي هو في الوقت ذاته بمثابة مواجهة شاملة مع الجاهلية (الأنظمة الحاكمة القائمة) الكافرة .

(١) ميثاق العمل الإسلامي، ص ١٤١ - ١٥٩ . وأيضاً : حتمية المواجهة، المرجع السابق ص ١٧ .

٦ - زاد الجماعة الإسلامية :

الزاد لدى الجماعة الإسلامية هو تقوى الله، لأن التقوى هي مفتاح الخلاص من كل ما نحياه من ضعف وتخلف وهوان. إن هذه التقوى لن تدب في النفوس طالما تبتعد عن عقيدة السلف الصالح، لذا من الواجب أن نتعلم هذه العقيدة ونتأدب بها. إن تقوى الله لدى هذه الجماعة هي العلم، بل كل العلم لأنها ينحصر فيها العلم بالله، والعلم بأمر الله. والواقع أن تقوى الله لن تتم إلا من خلال التحلى بالصبر الذي هو بالضرورة صبر على البلاء والمحن وشكر الله على كل ما يصاب به الإنسان .

٧ - ولاء الجماعة الإسلامية وعداؤها :

يتحدد ولاء الجماعة الإسلامية في الولاء لله ولرسوله المبلغ عنه رسالته. أما عداؤهم فللظالمين. إنهم يحددون بذلك موقفهم منهم، مع حزب الله وضد حزب الشيطان، أي أنهم ضد الكافرين ومع المؤمنين .

٨ - اجتماع الجماعة الإسلامية :

إن أهداف الجماعة الإسلامية يستحيل تحقيقها بغير عمل جماعي منضبط شرعاً ومنضبط حركةً. إن الحركة الإسلامية لن تستطيع القيام بأهدافها دون تبني أسلوب العمل الجماعي، فالاجتماع ضرورة من ضرورات الحركة الإسلامية لتحقيق القوة وأسبابها. ولكن في الوقت نفسه لا

تقبل الجماعة الإسلامية أن يكون العمل الجماعي بغير زاد، أو أن يكون العمل الإسلامي مثل العمل الحزبي يخوضه الناس بغير خلق .

إن اجتماع الجماعة الإسلامية لا بد أن تتحقق فيه شروطه الصحيحة تلك التي تتمحور في التسليح بالزاد حتى لا يحدث وجود ميوعة فكرية وضياح للحق. إن الزاد الذي يتحدث عنه ميثاق العمل الإسلامي يتلخص في الاعتصام بالكتاب والسنة اعتقاداً وعملاً. إن اجتماع الجماعة الإسلامية من خلال الزاد سوف يوسع هذه الجماعة ويفرز الخوارج عن هذه الجماعة، ومن ثم سوف يؤدي إلى تحصيل القوة وأسبابها^(١).

رابعاً: مضمون الخطاب الإسلامي: ملاحظات نقدية:

إن المطلع على ما عرضنا له من مضمون للخطاب الإسلامي قبل قليل، يستطيع أن يقف على نتيجة مهمة مؤداها أن الإسلام يعد منهجاً للحياة، وهو الحل الشامل لكل أزمة مجتمعية، ناهيك عن أنه يبعث الأمة الإسلامية من جديد، ويرجع إليها قوتها ونهضتها على الصعيدين الإقليمي والدولي. إن الإسلام وفق ما جاء بميثاق العمل الإسلامي هو بمثابة أيديولوجيا، أو خط فكري يجيب عن كل ما يثور داخل العقل سواء على مستوى العقيدة، أو حتى التنظيمات الفلسفية والفكرية والحاكمة التي دائماً ما توصف بلا إسلامية أو كافرة أو جاهلية .

إن ظهور هذا الخطاب جاء في مرحلة اتضحت فيها بجلاء معالم التبعية والتخلف لمجتمع إسلامي، أمام قوة عالمية بولية لا تعطى للدين أية أهمية، بل تسعى يوماً إلى تجهيله، وإبعاده، وتهميشه عن الواقع، لذا فإننا نرى أن استخدام مقولة إن الإسلام هو الحل من خلال هذه الجماعة، ما هي

(١) ميثاق العمل الإسلامي، ص ٢٤٧ - ٢٥٤ .

إلا محاولة لتجيش وتعبئة القوى الإسلامية ضد الأنظمة الحاكمة المحلية «الكافرة» من جانب، وضد القوى العالمية «العلمانية» من جانب آخر .

إن تحليلنا هنا لخطاب الجماعة الدينية «الإسلامية» من خلال ميثاق العمل الإسلامي لا يعنى أننا نستبعد مناهج علم الاجتماع الدينى، إذ ننظر إلى السلوك الدينى لهذه الجماعات من خلال علاقتها بجهاز الدولة (المجتمع المدنى). إننا من خلال الممارسات نرى أن الجماعة الإسلامية هى جزء أساسى لا تنقسم عراه عن المجتمع المدنى فى مقابل مشروع الدولة .

وانطلاقاً من ذلك، فإننا نرفض فى تحليلنا المقولة النظرية التى ترى ضرورة الاكتفاء بالمستوى الطقوسى (المقدس) والثقافى عند تفسير أى سلوك، فضلاً عن كون الجماعة الإسلامية أحد معالم التعبير الجماعى، وعلى الرغم من اهتمامنا فى التحليل السوسيولوجى بالممارسات الروحية للجماعة، والعلاقة بين الدين والمجتمع، فإننا هنا نركز فقط على الأبعاد الأيديولوجية والسياسية للجماعة الإسلامية، أى أننا من خلال خطابها الدينى لا نهمل خصوصية السلوك الدينى فى سياقاته المتعددة، بقدر ما نركز على المستويات المتفاعلة داخل الجماعة الإسلامية (١) .

إن المدقق فى مضمون خطاب الجماعة الإسلامية يستطيع أن يؤكد أنه جاء كبديل للأيديولوجيات الأرضية الكافرة - من وجهة نظرهم - إذ جاء

(١) يعود الفضل فى هذه الأفكار إلى المصادر التالية :

- حيدر إبراهيم على ، ملاحظات أولية فى دراسة الأسس الاجتماعية للظاهرة الدينية، فى : المستقبل العربى (مجلة)، العدد ١٢٦، بيروت، أغسطس ١٩٨٩ .

- عاطف العقلة عضبيات، الدين والتغير الاجتماعى فى المجتمع العربى الإسلامى : دراسة سوسيولوجية، المصدر نفسه .

- المنصف وناس، الدين والدولة فى تونس ١٩٥٦ - ١٩٨٧، المستقبل العربى (مجلة)، العدد ١٣١، بيروت ١٩٩٠ .

من خلالهم مؤسساً على شرع الله. ووفقاً لذلك فإن هذا الخطاب نجده يتشبع بشعارات الدولة الإسلامية، أو الثورة الإسلامية. المهم في ذلك أن الجماعة الإسلامية أو الأيديولوجية الإسلامية من حيث هي خطاب فهي تتصف بالاصولية الفكرية والنظرية، والتي جاءت لسد الفراغ الأيديولوجي نتيجة فقدانهم لمصادقية الأيديولوجيات الأرضية وتهاوى وضعف النماذج الغربية المستوردة .

إن الأيديولوجية الإسلامية هي تلخيص لخطاب حاول أن يربط بين قضيتي التاريخ والزمان. إن تحليل الخطاب الإسلامي يوضح لنا التماثل بين الاصولية بالمعنى الكلاسيكي وبين الاصولية الجديدة^(١). وهذا يعني أن الأيديولوجية الإسلامية وخطابها ليست سوى قيم طقوسية وتشريعية وأخلاقية تسعى من خلاله إلى البحث عن نموذج مثالي - يفتقده الواقع - مؤسس على شرع الله (٢) .

ووفقاً لذلك يمكن القول إن الخطاب الإسلامي يسعى إلى تشكيل وعي أو إدراك للواقع وفق رؤية إيمانية «توجماتيكية»، الأمر الذي يعني أن هذا

(١) يقصد بالاصولية بالمعنى الكلاسيكي تنقية المجتمع الإسلامي مما لا يليق ويتفق مع شرع الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، بينما يقصد بالاصولية الحديثة تطبيق الشريعة الإسلامية على كافة مجالات الحياة الاجتماعية. للمزيد راجع في ذلك : مراد وهبة، الاصولية والعلمانية في الشرق الأوسط، المنار (مجلة)، العدد ٤٩، القاهرة، يناير ١٩٨٥، ص ٨٥ - ٨٦ .

(٢) تشترك في هذه القضية كل الجماعات الإسلامية في العالم الإسلامي بدءاً من حركة الإخوان المسلمين وجماعة أنصار السنة المحمدية وحزب التحرير وجماعة التبليغ حتى الجماعات التي تعمل ظاهراً أو باطناً اليوم. انظر : محمد أركون، الفكر الإسلامي : قراءة علمية، مركز الإنماء العربي، بيروت ١٩٨٧، ص ٧٢ .

الخطاب يسعى من خلال هذه الرؤية إلى سيادة تعصيب الأفراد من خلال عملية فكرية وسلوكية مستمرة. ويجدر الإشارة إلى أن هذه العملية تتم في وجود تغييب عقلى ووعى صحيح يدرك ويفهم الواقع من خلال رؤية واقعية، كما أنه في الوقت نفسه يحجب الرؤى الأخرى والجديدة. وإذا كانت الأيديولوجية بشكل عام تسعى إلى إيقاف العقل وإبطاء التفكير، فإنه وفقاً لدراسة الخطاب الإسلامى، فإننا نرى أنه ضرب من الأيديولوجية، أو هو الأيديولوجية ذاتها. لذا يمكن القول إن الخطاب الإسلامى ما هو إلا سلوك عاطفى وانفعالى لا يخضع فى تصرفاته للعقل أو المنطق .

والم تأمل لطبيعة الخطاب الدينى من خلال ميثاق العمل الإسلامى يجد أن النص - أو قل التراث - يمثل الإطار المرجعى له، أو هو بصورة أدق الخط الفكرى العام الذى يوجه الخطاب ويرسم له من خلال الخطابة والبلاغة فى اللفظ مدركاته وتوجهاته. إننا من خلال فكر الجماعة نستطيع الوقوف على القضايا التالية :

أولاً : أن الرجوع إلى النصوص والاحتكام إلى التراث فى ضوء معطيات الواقع ما هى إلا عملية لإيقاف التاريخ، وتزييف للوعى والإدراكات وتعطيل للعقل والمنطق .

ثانياً : أن النصوص والتراث التى يستند إليها الخطاب الإسلامى ما هى إلا استخدامات أيديولوجية من قبل هذه الجماعة للوصول إلى السلطة، ومن ثم تأييد أنفسهم كجماعة دينية حاكمة .

ثالثاً : أن الأيديولوجية الدينية من خلال التراث والنصوص ما هى إلا

رؤية للعالم في حاضره أو مستقبله. أو بمعنى آخر، أن الخط الفكري الذي تستند إليه الجماعة الإسلامية يستند في واقعه إلى النصوص المتوارثة من الماضي لرؤية الحاضر والمستقبل .

وتأسيساً على ما سبق، يهم أن نوضح في خاتمة هذا الفصل أن الخطاب الإسلامى بصورته الراهنة يعد نتاجاً لشروط مادية وفكرية ومجتمعية، فهو نشأ في سياق تاريخى واجتماعى تأثر به وأثر فيه، أى أن هذا الخطاب ما كان له أن يوجد لولا تناقضات البنية التحتية وصراع الطبقات الاجتماعية في التكوين الاجتماعى الاقتصادى المصرى. إن فهم الخطاب الإسلامى لا يتم دون فهم البناء الاجتماعى الاقتصادى الذى ساهم في إفراز مقولاته وأثر في شكله وطبيعته. أى أنه من اللازم فهم العناصر البنائية الشاملة التى ساهمت في تكوين ذاته المرجعية .

إن فهم العناصر الشمولية التى ساهمت في تكوين الذات المرجعية توضح لنا العوامل الموضوعية التى تساهم في صياغة حركة الواقع الاجتماعى، والتى بالتالى تصيغ فهماً حقيقياً له يتسم بالموضوعية والقرب من الواقع. إن خبرة التفاعلات اليومية بين أصحاب الخطاب الدينى وجهاز الدولة، أو بقول آخر إن عملية إعادة التفاعلات الاجتماعية (الصراع الاجتماعى)، سمحت بالإفصاح عن وعى وفكر هذه الجماعة من خلال الشكل الدينى. إن الجماعة الإسلامية وفق أفكارهم نجدهم يديرون حواراً عنيفاً مع النظام الحاكم لتحقيق مهمة ضرورية ألا وهى الجهاد، من أجل إزالة الفساد ودحض الجاهلية. إن عملية إعادة إنتاج التفاعلات الاجتماعية

داخل التكوين الاجتماعى الاقتصادى المصرى طرحت الجماعة الإسلامية
كنتاج تنظيمى وعقلى له رؤيته وموقعه الخاص من الواقع القائم، الأمر الذى
يجعلنا نذهب مع «جرامشى» بأنها تدخل فيما يسمى بالإصلاحات الثقافية
والأخلاقية، أو هى بالأحرى رؤية جزئية للعالم من خلال جمود عقائدى
وأخلاقى .

الفصل الثالث

نماذج الإسلام السياسي

من التراث إلى العنف

المحتويات

٩٣	مقدمة
٩٥	الحالة الأولى : من تكفير المجتمع إلى الجهاد
١٠٧	الحالة الثانية : من الحرمان الاجتماعي إلى الوعي الديني
١١٥	الحالة الثالثة : الفراغ الأيديولوجي والقطيعة مع المجتمع
١٢٣	الحالة الرابعة : الاقتراب السيلفي والعودة إلى الأصول
١٣١	الحالة الخامسة : من التعاطف الديني إلى الثورة
١٣٧	الحالة السادسة : من أزمة المجتمع إلى التراث

يعتبر الدين في الوقت الراهن أحد العناصر المهمة في تفجير الحركات الاجتماعية نتيجة استجابته المباشرة والفورية للمشكلات الواقع وتحدياته. وباعتباره أحد أشكال الصراع الطبقي المستند إلى الأصول والسلف كإطار أيديولوجي، فإننا نرى أن الحركات الدينية في شكلها السياسي تمثل رد فعل طبيعي للتناقضات الاجتماعية والاقتصادية التي يشهدها المجتمع المصري، وكرد فعل مباشر لموجات الاضطهاد والممارسات ضدها. إن ما نطلق عليه، في أدبيات علم الاجتماع السياسي، العنف الثوري هو ما تسميه الجماعات الإسلامية «بالجهاد» أو ما نسميه هنا بالعنف المقدس، ذلك المفهوم الذي ترى جماعة المسلمين أنه «قرص عين» على كل مسلم.

إننا هنا أمام طرح جديد لظاهرة جديدة قديمة، نحاول أن نخضعها للمنظار العلمي النقدي. إن إخضاع ظاهرة العنف الديني للبحث السوسيولوجي يأتي وفق ما ذكره إميل دوركايم يوماً «... بأن هذه الظواهر تتمثل بالفعل في الخيال لا من خلال صورة محددة فحسب، بل من خلال تصورات على نحو فج أيضاً...». فباعتبار أن العنف الديني ظاهرة اجتماعية تحمل تفسيرات متعددة، فكان حتماً علينا أن نحددها تحديداً علمياً، لذا رأينا ضرورة الوقوف على التصورات المختلفة لممارسة العنف واقعياً.

وفى سبيل إنجاز ذلك، وعلى أساس الاهتمام بالموقف الكلى والنظر إلى الجزئيات من حيث علاقتها بالكل الذى يحتويها، يحاول الباحث فى الفصل الراهن أن يرسم التصورات المتباينة للجماعة الإسلامية وأنماط الوعى والتنظيم والموقف من بعض القضايا المجتمعية. ولما كان منهج دراسة الحالة يمكن أن يدرس فرداً واحداً أو جماعة أو تنظيمًا اجتماعيًا، فإن الباحث من خلال حدود دراسة الحالة يدرس مجموعة من أعضاء الجماعة الإسلامية .

ويجدر أن نشير إلى أن الحصول على هذه الحالات كان أمراً مستحيلاً، إذ شابه بعض المغامرة والمخاطرة أيضاً، خاصة إذا ما عرفنا حجم التشكك فى أى فرد يقترب من هذا المعترك. ونظراً لصعوبة الحصول على هذه الحالات فقد استخدم الباحث ما يسمى بأسلوب كرة الثلج فى الحصول على حالات الدراسة^(١)، كما أن هذه الحالات لم تساعد الباحث إلا بعد الحصول على موافقة أمير الجماعة على بنود دراسة الحالة. لذلك سوف يلاحظ القارئ أن هناك بعض الإجابات فى بعض الحالات، والإجابات نفسها لا توجد فى أخرى. وهذا يرجع فى الحقيقة إلى اعتراض أمير الجماعة منذ البداية على بعض البنود، فضلاً عن تشكك الجماعة ذاتها فى أننا موفدون من قبل أجهزة الأمن المصرية^(٢).

(١) حول هذه الطريقة فى اختبار والحصول على عينة الدراسة راجع :
- هناء محمد الجوهري، الأعمال الإضافية غير الرسمية لدى العاملين بالحكومة : تحليل سوسيولوجي للظاهرة وعلاقتها بعملية التنمية فى المجتمع المصرى، رسالة ماجستير «غير منشورة»، كلية الآداب، جامعة القاهرة ١٩٨٩ .

(٢) سوف نكتفى هنا بعرض ست حالات فقط، نظراً لعدم وجود قسّمات فارقة بين هذه الحالات. وبهم أن نوضح أن هذه الحالات كانت خمس عشرة حالة. جاءت الاستجابات فيها مكررة وليس بها أى عمق. إن هذا العجز لا يعود إلى قدرات الباحث، بقدر ما يعود إلى شحّ المبحوثين نتيجة توجسهم الخوف والحذر منا .

الحالة الأولى

من تكفير المجتمع إلى الجهاد

يرى صاحب هذه الحالة أنه التحق بالجماعة من خلال الدعوة إلى حضور المؤتمرات والمعسكرات الإسلامية، والتي من خلالها تعرف على هدف ومقصد الجماعة، وتعرف أيضاً على قادة الجماعة. ومن خلال حضوره وانضمامه تعرف أيضاً على فكر وجوهر هؤلاء الشباب الذين يدعون إلى الحق وإلى صراطٍ مستقيم «... إن دخولي أو انضمامي (حسب سؤالكم) غير حياتي تماماً...» .

لقد كانت حياتي قبل الانضمام حياةً عاديةً، حيث كنت شاباً أصلي في الجامع ولا أعرف إلا الصلوات الخمس فقط، وكانت نظرتي إلى هذه الجماعات على أنها تضم رجالاً للدين يحاولون تطبيق الشريعة الإسلامية، ولكن بأساليب مختلفة تماماً عن الأساليب التي نعرفها من خلال معرفتنا الضئيلة بالإسلام. ومن خلال تشويه وسائل الإعلام لهذه الجماعات، كنت ناقماً على الجماعات الإسلامية، برغم أنني في هذه الفترة كان لي أصدقاء كثيرون ينضمون إليها. إنني كنت غير مقتنع بفكرة الانضمام إلى الجماعات الإسلامية، ولكن بعد الانضمام لهم تغيرت هذه الفكرة تماماً .

وبالتالى فقد كان المجتمع بالنسبة لى لا يساوى شيئاً، ولم أشعر
بهدفٍ محددٍ كى أحققه، وكنت أعتبر أن كل إنسان فى المجتمع مسئول عن
نفسه، وكانت علاقتى بأسرتى من الأمور التى لا أهتم بها ولا أراعى
شعورها، وكنت كثيراً ما أخالف أوامرها، وكنت أيضاً بعيداً عنها. باختصار
كانت علاقتى بهم تتسم بالسوء، ودائماً ما كنت على خلاف مع أخوتى. أما
علاقتى بأصدقائى، فقد كنت أصادق جميع الأعمار سواء الأكبر سناً أو
الأصغر، وكنت لا أراعى الاختيار الصحيح، وكنت لا أهتم بطريقة الاختيار
الصحيحة، إذ كان أصدقائى معظمهم من أصدقاء كرة القدم . ويرى
صاحب هذه الحالة أن كرة القدم ليست فقط هى التى كان يمارسها قبل
انضمامه للجماعة، بل كان يشاهد التلفاز والأفلام والبرامج الفكاهية ولعب
الزهر وقراءة القصص البوليسية. وكان له بعض الخصال «التي يمكن
وصفها بأنها سيئة» مثل حب الذات والكسل وعدم الاهتمام بالعمل .

كانت هذه الأشياء كلها - من وجهة نظر صاحبها - تعنى انفصال
الإنسان عن الدين، أو عن ربه. فيعنى ذلك أن فاعل هذه الأشياء هو عاصٍ
لأوامر الدين، ولايد من تقويمه. والحقيقة أن تقويم الإنسان لايد أن يكون من
الدين والبعد عن المفسدات السائدة فى المجتمع. ولما كانت الجماعة
الإسلامية تبعد الإنسان عن الضلالة «... كل ضلالة فى النار...»، وتنمى
حب الدين وحب الله وحب الرسول، فقد دخلت هذه الجماعة وانضمت
إليها.

إن انضمامى للجماعة حوّلنى تماماً. لقد تحولت من مجرد شاب لا

يعرف سوى أداء الصلاة إلى إنسان يمسك على دينه «... من يمسك على دينه كأنه يمسك على جمرة من النار...»، يحاول تغيير كل ما هو فاسد في حدود الاستطاعة. ويضيف أيضاً، إن انضمامي للجماعة لم يغيرني فقط، ولكن أثر على ناس كثيرين حولي، أبرزهم أعضاء أسرتي؛ فبدلاً من التجاهل لي قبل انضمامي للجماعة، فقد حاولت أسرتي أن تهتم بي لإثنائي عن التماهي في الانضمام لهذه الجماعة، لأن سلوكي وتصرفي أصبح غريباً عنهم خاصة فيما يتصل بترك ترف الحياة وتقصير الشارب وإطالة اللحية، ولكن لأن تعاليم الدين قد قومت سلوكي فبدأت أؤثر في كل من حولي. لقد تحول جزء كبير من أسرتي إلى الإسلام. فبدلاً من أن كانت أسرتي «إسمياً» مسلمة، فقد تحولت بالفعل إلى الإسلام في كل تصرفاتها .

لقد حاولت تطبيق الإسلام بالتدريج فبدأت من أسرتي. وذلك بالدعوة والكلمة الطيبة ثم بالترغيب في دخول عباد الرحمن في طاعته والتهديد من عذاب الله. لقد حاولت أن أطبق ذلك في حدود طاعتي ولكن كانت هناك عقبة أمامي هي مخافة عقوق الوالدين. كنت أخشى الوقوع في ذلك فكانت دعوتي لوالدي باللين .

إن انضمامي للجماعة الإسلامية غيرني تماماً. لقد تغيرت مجموعة الأصدقاء، فبدلاً من «شلة الأنس» أصبح الآن لدى أصدقاء جدد يعينونني على طاعة الله، ويبعدونني عن جماعات السوء التي تنغمس في الشهوات والملذات. هذه الجماعة التي لها نظرة ضيقة أهمها التمتع بالحياة القصيرة ونسيان الحياة الأبدية «الآخرة». لقد نسيت عاداتي القديمة مثل التي ذكرتها

من قبل «مشاهدة التلفاز، وسماع الأغاني، ولعب الكرة... إلخ»، وأصبحت لى الآن عادات جديدة أهمها ذكر الله وتلاوة القرآن وحب الرسول ونهج أصحابه، وحب الإخوان وجميع المسلمين، والصبر، والإيثار، وحب الجهاد..

إن انضمامى للجماعة الإسلامية غير كثيراً من شخصيتى.. فبجانب ما ذكرته فقد غير أيضاً رؤيتى للحياة. فبدلاً من تفكيرى فى نفسى، ونظرتى الضيقة للحياة، فإننى بدأت فى التفكير بالمجتمع والدولة. ورأيت أن كل العيوب يمكن أن يتم إصلاحها من خلال الدين، ومن خلال التمسك بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويرى صاحب الحالة أن أهداف الجماعة الإسلامية تتلخص فى إقامة الخلافة الإسلامية ونشر العدل والمساواة بين الناس، وكذلك تطبيق الشريعة الإسلامية، وتحويل النظام الجمهورى إلى خلافة إسلامية. إن تحقيق ذلك سوف يقضى على الفساد الأخلاقى والإدارى الذى استشرى فى المجتمع نتيجة تطبيق القوانين الوضعية. ويرى أيضاً أن أهداف الجماعة تتمثل فى تعبيد الناس والتزامهم بشرع الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ومحاربة اليهود، وإقامة خلافة على منهاج النبوة. إننا من خلال ذلك نريد تحويل المجتمع من دار حرب إلى دار سلام. ولن يأتى ذلك إلا من خلال النظام الإسلامى .

إنه يرى أن الطريقة التى تستخدمها الجماعة لتحقيق أهدافها تتمثل فى ثلاث طرق رئيسية هى : الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والجهاد فى سبيل الله من خلال جماعة منضبطة بالشرع الحنيف، وتابى المداهنة، أو الركون، وتستوعب ما سبقها من تجارب .

ويذهب أيضاً إلى أن الحكومة كافرة لأنها لا تحكم بما أنزل الله، وأيضاً لمحاربة الحكومة للتيار الإسلامى، ونستدل فى ذلك برأس الدولة «فرعون مصر» الذى قال على مسمع ومرأى : «إن النقاب والخمار الذى ترتديه النساء ما هو إلا خيمة»، لقد استهزأ الفرعون من شرع الله، هذه الأفعال هى التى جعلنا نُصِرُ على ضرورة إزالة الحكم القائم، إن عداونا للحكومة يرجع إلى عدم تنفيذ شرع الله وتطبيق الحكومة الإسلامية والحكم بما أنزل الله .

ويضيف صاحب هذه الحالة، أنه بجانب وصف الحكومة إنها كافرة، فهى فاسدة وظالمة «من لم يحكم بما أنزل الله هم الكافرون والفاسقون»، كما أن القوانين التى تصدر عن هذه الحكومة قوانين كافرة وظالمة وفاسقة.

إننى قبل أن أنضم إلى الجماعة الإسلامية لم أكن أهتم بهذه الأمور لأنها لم تكن تمثل لى أى شىء، حيث كانت عندى نظرة خاطئة، وهذه النظرة تتمثل فى أن كل إنسان فى الدولة موضوع فى مكانه المناسب، والحقيقة أن نظرتى للأشياء تغيرت حينما تحطمت آمالى فى الالتحاق بكلية الشرطة. إنه بسبب الوساطة لم أدخلها. ومنذ ذلك الوقت أصبحت الدولة فى نظرى وسياستها كلها خطأ. إننى كرهت كل مؤسسات الدولة التى تقوم على المحسوبية والرشوة والنفاق. لذلك أرى ضرورة تغييرها وفق النظام الإسلامى الذى يقوم على العدالة .

هناك وجهات نظر ترى أن الجماعة الإسلامية، ليس فقط الجماعة الإسلامية، ولكن كل الشباب المسلم «مش بس الجماعة الإسلامية (الجهاد)

هى اللى متطرفة، ده كل الشباب اللى يعرف ربنا وملتقى» متطرف. وأحب أن أقول إن هذه التسمية، تسمية أمنية، لأننا خارجون عنهم. إن كل السياسات هى التى جعلتنا نقف فى مواجهتها لأنها لا تأتى إلا بالباطل، فإذا كنا على هوى الحكومة يقال عنا إننا شباب تقى ومؤمن. أما إذا قالت الحكومة عنا إننا متطرفون، فإن كل الناس سوف تصفنا بالتطرف. لقد قال فرعون مصر من قبل على الجماعة الإسلامية «إنهم شرذمة قليلة.. أى متطرفون» ولكن هذه وجهة نظره، فنحن أيضاً لنا وجهة نظر فى وصف المتطرف، فهو يعنى من خللنا أنه الشخص الذى يحيد عن منهج وشرع الله.

إن عدم تطبيق الحكومة للشريعة الإسلامية وتطبيق شريعة المغرب. وليس شريعة الإسلام هو الذى جعل الحكومة تصفنا بالتطرف، وتمارس العنف ضدنا. إن ممارسة العنف من خلال الحكومة ضدنا هو الذى جعلنا نرد بعنف مثله «فالعنف يولد العنف». إن العنف الدينى هو السبيل الوحيد أمام مدافع ورشاشات ودبابات الحكومة .

وهناك من يرى أن هناك أسباباً اقتصادية واجتماعية وثقافية تعتبر السبب فى تطرف الجماعات الإسلامية. أو بمعنى آخر، أنا قرأت فى كثير من الكتب والصحف أن تطرف الجماعات الإسلامية، وممارسة العنف من خلالها، تعود إلى أسباب اقتصادية واجتماعية وثقافية. وأنا أرى أن أسباب انتشار الجماعات الإسلامية واستخدامها يعود أيضاً للعنف المضاد، يعود إلى بعد الحكومة وتعطيلها لتطبيق الشريعة الإسلامية، وتعارض أقوال

المسئولين مع أفعالهم، ففي حين تعلن الدولة أن الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع، نجد أنها تصرح بتعاطي الخمر والتعامل بالربا، وتطبق قانون الطوارئ وتتقف بقوة أمام ممارسات الإسلاميين في الاقتصاد، وديونها كبيرة، وشركاتها خاسرة. إن هذه التناقضات هي السبب الذي جعل الشباب أول ما يهرب يهرب إلى الجماعات الإسلامية. ثانياً وهي أيضاً تجعله يمارس العنف لتغيير الحكومة والنظام القائم .

ولكن لا يمكن أن يتم ذلك إلا من خلال الجهاد. إن الجهاد هو السبيل الوحيد لإعادة الخلافة الإسلامية. إننا هنا نعتبر الجهاد فريضة أساسية انطلاقاً من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من لم تحدثه نفسه بالجهاد، فليمت على ملّة غير ملّة الإسلام» .

إن ما سبق ليس هو سبب اعتراضنا على الدولة، ولكن هناك أسباباً أخرى أهمها أن الجماعة الإسلامية ترى أن النظام الحاكم في مصر لا يحق له أن تقوم له قائمة، ويجب أن ينتهى ويزال، ونأتى «نحن» بآخر جديد، يقوم على شرع الله وينهج نهج السلف. ويضيف صاحب هذه الحالة أنه لا يحق لدولة إسلامية أن تتبع دولة أجنبية، لأن نظام الأخيرة غير مستمد من تعاليم الإسلام. فالتبعية لله ورسوله. إن هذه التبعية ضرب من ضروب الشيطان. فلا يحق لمصر أن تكون تابعة لدولة كافرة، وإنما لابد أن تكون مستقلة سياسياً، وتابعة دينياً لله ورسوله، ولا تتبع خطوات الشيطان، الذي يغوى الإنسان عن كل ما هو حق .

ويرى صاحب هذه الحالة أن النظام الحاكم نظام فاسد لأنه نظام

مبنى على الديكتاتورية. إن الدولة نتيجة اتباعها لسياسات الدول الغربية، فهي تحكم بشريعة كافرة بعيدة عن شريعة الإسلام، وهذه السياسات نعتبرها ديكتاتورية لأنها لا تعتمد على الشورى، فلا بد من البعد عنها. إن النظام الحاكم الذى يتعامل مع الدول غير الإسلامية خاصة الصهيونية والنصرانية لا يحق أن يكون نظاماً إسلامياً، فلا بد من تحديد هذه العلاقات، لأن كل من اليهود والنصارى يريدون تدمير الإسلام ..

إننا نقف موقفاً معادياً من كل هذه الدول، مثلما نقف الموقف نفسه من النظام الحاكم والدولة. إن الدولة - داخلياً وخارجياً - خاطئة، وينبغى أن تزول. وإلا لابد أن يطبق شرع الله فى جميع النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية حتى تُصحح كل الأوضاع. إننا نرى أيضاً أنه ينبغى أن يُقضى على الإعلام الفاسد السائد الذى يباعد بين الدين والناس، ولا يقدم إلا برامج هابطة تساهم فى بعد الناس عن ربهم وتعمل على إبقاء الأوضاع على ما هى عليه، وإبعاد الناس عن التفكير عن مصالحهم .

ويرى صاحب هذه الحالة أن تشكيل وتنظيم الجماعة، أو حسب تعبيره «التركيبات الداخلية للجماعة الإسلامية» تعتمد على وجود أمير للجماعة يعتبر المسئول عن كل شئ يدور داخل الجماعة ويأتى بعده ما يسمى بمندوب الأمير أو نائبه، ثم بعض الأخوة المعيّنين بمعرفة الأمير بناءً على الخبرة فى المجالات المختلفة (السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمالية والثقافية). ومن جهة أخرى هناك من له خبرة فى فنون القتال والتدريب والألعاب خاصة ما يتصل بدفاع الإنسان وهكذا.. وهناك أيضاً أخ

مستول عن الاجتماعات والندوات .. ويضيف صاحب هذه الحالة أن كل جماعة فى كل محافظة أو مدينة أو قرية لها أمير خاص بها، وأيضاً نفس التصنيف السابق الذى ذكرته .

ولكنه يضيف أن الجماعات تختلف فى نشاطها من محافظة إلى أخرى حسب حجم الانحراف فى المدينة. فعلى سبيل المثال نشاط الجماعة فى الصعيد مختلف عن القاهرة مختلف عن دمياط مختلف عن الفيوم. ولكن أهم ما تتميز به هذه الجماعة هو طاعة أفرادها للأمير، فالأمير له السمع والطاعة بدون نقاش طالما أن ذلك فى غير معصية الله. ولكن هذا لا يعتبر حكماً نهائياً وفردياً، لأن ذلك يدخل فيه ما يسمى بالشورى، فالمشورة بين الأعضاء ضرورية، وهى دائماً ما تأتى من خلال الكتاب والسنة .

ودائماً ما يتم الاتصال بين الجماعة وفروعها عن طريق مندوب خاص للأمير، حيث يسافر فى أنحاء الجمهورية لتوصيل المعلومات المراد توصيلها إلى كل إمارة، ثم يقوم كل أمير بتوصيلها إلى أعضاء جماعته. وعادةً ما يتم الاتصال فى المساجد والدروس بين الأعضاء من خلال الاجتماعات الشهرية أو الأسبوعية .

ويعلق صاحب الحالة على كيفية تدبير الإمكانيات المادية للجماعة، فيؤكد على أن الجماعة لا تعتمد على أية تمويل من خارج الجماعة. وأنه عرضت على الجماعة بعض المساعدات عن طريق الدول، ولكن الجماعة رفضت ذلك، لأنها رأت أن هذه المساعدات سوف تبعدنا عن مرضاة وجه

اللّٰهُ. فالجماعة تعتمد على الذات فى تدبير احتياجاتها المادية، وخاصةً من خلال التبرعات والمشروعات الخيرية التى تُدرُّ بعض الأموال .

أما فيما يتصل برؤية صاحب الحالة، وفقاً لتوجهه الإسلامى، لبعض القضايا، فيرى أن العمل هو أفضل الأشياء، حيث أن العمل فريضة وهو الذى يبلور الطبقات التى تعد نتيجةً طبيعيةً وأحد نتائج العمل. أما فيما يتصل بعمل المرأة وتعليمها، فيرى أن التعليم فرض على كل مسلم ومسلمة، ولكن يجب أن تكون العلوم كلها علوم دينية «وليس العلم الدنيوى التافه...» مثل الفلسفة والموسيقى والفن. ولا بد أن تخرج المرأة فى حشمة ومتحجبة وليست متبرجة، لأن ذلك سيؤدى إلى الخلاعة والسفور. إننا مع تعليم المرأة الطب، والتربية (التدريس) لأننا فى حاجة إليهن فى الكليات التى تزدهم بالفتيات. إننا نريد تعليم المرأة أمور دينها حتى يمكن تعليمها لأسرتها أولاً ثم للفتيات التى تقابلهن فى قاعات الدرس. إننا من خلال الجماعة نرى ضرورة تعليم الفتيات التعليم النافع للمجتمع. أما بالنسبة لخروج المرأة للعمل، فمن الناحية الشرعية لا يجوز للمرأة الخروج من بيتها، ولو كان للعمل ضرورة فيشترط عدم التبرج أو السفور، أو التكلف فى الملابس حتى لا تكون فتنة .

أما وجهة نظره حول قضية تنظيم الأسرة، فيرى أنه إذا كانت متصلةً بموضوع تنظيم الرضاعة، وضرورة اتباع القرآن الكريم والأحاديث الشريفة فهى مقبولة، أما إذا كانت بغرض قلة الرزق أو الدخل فهى نوع من

الضلال، لأن في ذلك يغيب عنا قول الله تعالى : (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها)، إن اليهود والنصارى يعطون أموالاً كثيرة حتى يكثر عددهم، ويتنصروا على المسلمين. إنهم ضد قول رسول الله : «تكاثروا تناسلوا فإنى مباد بكم الأمم يوم القيامة» .

أما قضايا التخلف والتبعية، فيرى أن الدين يحث على التقدم، فيجب علينا أن نتقدم في كل العلوم، ولكن لا نترك الدين، لأن الدين فيه كل كبيرة وصغيرة. أما التبعية فإننا ضد أن نكون تابعين لاية دولة، وخاصة أمريكا. لأننا أصبحنا في أيديها مثل قطع الشطرنج تحركها كيفما تشاء، بل يجب أن نكون تابعين لله ولحمد عليه الصلاة والسلام وأصحابه .

وحول قضية الصلح مع إسرائيل، يؤكد صاحب الحالة أنها قضية مرفوضة ونحن ضدها. ويرى أن اليهود يصورهم القرآن بقوله تعالى : (وان ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم)، ويقول صلى الله عليه وسلم : «ما خلا يهودى بمسلم إلا وفكر اليهودى في قتله»، فكيف نتصالح مع هؤلاء الخونة، كيف نتصالح مع هؤلاء على حساب الدين. كيف نتصالح وهم أشد خلق الله في الأرض. كيف نتصالح مع من قتلوا مائة وخمسين نبياً في يوم واحد. إن هذا الأمر هو خيانة لله ورسوله، إن الصلح معهم على حساب الدين، وما يسمى الآن بمؤتمر السلام المزعوم لن يتم لأنه ضد الله ورسوله . أما عن الديمقراطية، فإن مفهومها الذى أعرفه هو حكم الشعب بالشعب. ولكن رغم ذلك فهي بعيدة عن الواقع. لماذا نقول ديمقراطية بالمفهوم الغربى ونبتعد عما هو أشمل وهو الشورى. نحن ضد كل ما يأتى من الغرب، ومن أجل الغرب .

ويتلخص رأى صاحب الحالة حول مفهوم الرأسمالية فى أنه ضد الرأسمالية، لأن هذا النظام يتحدد فى وجود أموال فى يد طبقة من المجتمع تستعبد الناس من دون الله، وهو نظام يسعى إلى خدمة الفرد وضد الجماعة، وطالما تنزع منه الولايات المتحدة الأمريكية عدوة الله، فنحن ضدها .

ويأتى رؤية صاحب الحالة لمفهوم الشيوعية فى أنها فرقت بين عباد الله، وهى أول من كفرت بوجود الله، ولكنها تؤمن بمصالح الجماعة على حساب الفرد، وهى عكس الرأسمالية فى كل شئ، ولكنها مثلها فى أنها تريد إنهاء الإسلام كعقيدة .

الحالة الثانية

_____ من الحرمان الاجتماعي إلى الوعي الديني _____

يرى صاحب هذه الحالة أنه التحق بهذه الجماعة من خلال دعوة أخوة إسلاميين في فترة التعليم الثانوي. ويرى أنه لم يكن يعرف من قبل أية أفكار أو فكرة عن الجماعات الإسلامية إلا بعد أن انضم إليها، وتعرف على أفكارها، ويقول في ذلك : «... إن انضمامي إلى هذه الجماعة غير كثيراً من أخلاقي، حيث اكتسبت من خلالها مجموعة من القيم الأخلاقية والدينية، ولقد تحول سلوكي إلى الأفضل...» .

ويضيف صاحب هذه الحالة، إن حياته كانت ما هي إلا نوع من اللهو قبل الانضمام للجماعة، والعبث وخاصة بعد حصولي على الدبلوم، وعدم وجود فرص للتعيين، بل على العكس كنت ناقماً على الجماعة الإسلامية، لأن نظرتي في ذلك الوقت كانت نظرة سطحية. ولكن بعد ما اقتنعت بفكرة الانضمام إليها من خلال بعض الأخوة المسلمين - كما ذكرت قبل قليل - تغيرت أفكاري تماماً، إلى الحد الذي يمكن أن أصف نفسي أنني تغيرت تماماً «حتى جلدي كمان اتغير». إنني أحمد الله على أنه

هدانى، بعد أن كنت فى طريق الغواية، طريق الشيطان. لقد مَنَّ الله على بالاستقامة وأبعدنى عن الضلال .

ويقول صاحب هذه الحالة هناك سبيان وراء دخولى فى الجماعة الإسلامية، الأول يتعلق بموقف أيقظ فى شخصيتى ما يمكن أن أسميه «بحمىة المسلم» حيث رأيت مجموعة من الشباب المسيحيين يضربون شاباً مسلماً ضعيف البنية، فتدخلت وأنهيت الاشتباك، وعرفت أن سبب هذه المشاجرة يتعلق بدفاع المسلم عن حرمة، حيث كان الطرف الآخر فى المشاجرة يعاكسون أخته. ومنذ ذلك الوقت، وقد حرصت كل الحرص على الدخول فى هذه الجماعة من أجل حماية حرمة المسلمين من أعداء الإسلام .

أما الموقف الآخر، فيتمثل فى أنه قبل دخوله إلى هذه الجماعة، فقد عرف أن أحد أعضاء الجماعة قد تزوج بمهر ٢٥ قرش، وتمكن هذا العضو من الحصول على عمل وسكن مناسب. إن الموقفين السابقين بجانب دعوة الأصدقاء لى يُعدّان من الأسباب الرئيسية لدخولى عضواً فى الجماعة الإسلامية.

لقد كان لانضمامى للجماعة الإسلامية أثرٌ كبيرٌ على نفسى حيث حولنى من مجرد شاب لا يعرف شيئاً عن دينه سوى أداء الصلاة والصيام، إلى شاب مسلم يقول الحق ويجهر به ويدافع عنه، ولا يخشى فيه لومة لائم، ويحاول تغيير كل ما هو فاسد فى حدود استطاعته. إن دخولى أو انضمامى إلى الجماعة الإسلامية لم يؤثر فى شخصيتى فقط بل أثر أيضاً فى أسرتى، فقد تحولت الأسرة بكاملها إلى الدخول فى الجماعة الإسلامية. لقد تحولنا

جميعاً بفعل الهداية الربانية من مجرد أفراد فى المجتمع، إلى أفراد يعرفون ربهم حق المعرفة. لقد تحول تفكيرى من مجرد تفكير بالدنيا وأمورها العابثة، إلى تفكير دينى متعمق، وبذلك انصرفت عن لذات الدنيا، وارتفعت بنفسى إلى الروحانيات وحب الآخرة، والتزهد فى الدنيا طمعاً فى جنات الله.

لقد كانت نظرتى للحياة تافهة وسطحية ومادية، وتغلب عليها الأهواء والرغبات وتحقيقها يتم بأية وسيلة مهما كانت حراماً أو حلالاً. وكانت تتملكنى بعض القيم الشاذة فى نظرى مثل مصاحبة أهل السوء واللهاث وراء المتع الرخيصة .

لقد تغيرت نظرتى للمجتمع، وبدلاً من اللامبالاة والسطحية، تحولت إلى التدبر فى أمور هذا المجتمع الذى يزدهم بالعابثين والمهتمين بأمور الدنيا. لقد دفعنى ذلك إلى حب هداية الناس جميعاً إلى صراط الله المستقيم. لقد وهبت نفسى وروحى إلى العمل فى سبيل الله ووجهه الكريم. إن انشغالى بأمور الآخرة غير كل سلوكى، إذ عرفت كيف أتعاون على البر والتقوى، وكيف أستغل الوقت فى مكانه الصحيح، خاصةً فيما يتصل بتعبيد الناس لله.

ويرى صاحب هذه الحالة أن تنظيم الجماعة أو تركيبها مثله مثل أى نظام له تدرج دقيق نابع من أحكام الإسلام. فهناك أمير عام للجماعة يقود عدة أمراء فى كل محافظات الجمهورية، ونحن هنا نتبع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إذا سار اثنان فليأمر أحدهما الآخر...» والإمارة لا

تعنى التسلط، وإنما تعنى التسامح والشورى. فالأمير هو شخص عادى يأمر بما جاء به الإسلام وينهى عما نهى عنه، فلا طاعة ولا احترام للأمير فيما لا يقره الدين «فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق». ويضيف صاحب هذه الحالة أن لكل أمير نائب، وهناك أعضاء متخصصون فى شئون الجماعة، بالإضافة إلى ذلك هناك مجلس شورى .

ويتم الاتصال بين أعضاء الجماعة دائماً فى البيوت والصلوات الخمس والزيارات بين الإخوان. ولكن دائماً ما تأتى كل تعليمات الأمير العام من خلال مندوبياته التى ترسل إلى المحافظات، التى بدورها تنقل إلى أمير المحافظة أو نائبه التى بدورها تصل إلى الأعضاء .

أما عن تمويل الجماعة، فيرى صاحب الحالة التى نحن بصدد العرض لها أنها تتم من خلال التبرعات الذاتية والمشاريع الصغيرة التى يقوم بها أعضاء الجماعة .

ويذهب صاحب الحالة إلى أن أهداف الجماعة الإسلامية تتمثل فى مجموعة من الأشياء أهمها تكوين خلافة إسلامية عربية موحدة وتطبيق الشريعة الإسلامية، ونشر الإسلام ليس على المستوى المحلى فحسب، بل على المستوى العالمى أيضاً. إننا من خلال هذه الأهداف نرى أنه يمكن تحقيقها عن طريق الدعوة الحسنة أولاً، والإخلاص لله والتمسك بكتابه وسنة نبيه ثانياً، والجهاد فى سبيله ثالثاً .

إن تطبيق الشريعة الإسلامية أمر مهم، وهو أحد أهداف الجماعة الإسلامية، فمهما ادعينا أننا وصلنا إلى الحضارة ولا ينبغى أن نعود إلى

الوراء، فهذا نوع من الكفر، لأن الإسلام فيه كل سبل التقدم. إن تطبيق الشريعة الإسلامية سوف يعود بالمسلمين إلى أيام الازدهار والتقدم للدولة الإسلامية الأولى، وأنه لكي نقيم الشريعة لابد من إلغاء كل القوانين الوضعية.

إن تطبيق الشريعة الإسلامية فرض على كل مسلم ومسلمة، وإلا فلما شهدنا ورضينا بالله رباً وبمحمد رسولاً وزعيماً وبالإسلام ديناً. إن عدم تطبيق الشريعة الإسلامية وعدم تنفيذ أوامر الله ورسوله سوف يدخلنا فيما يسمى بباب النفاق . أى أن نُظهر بالسنتنا ما لا تخفيه القلوب «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر ذنوبكم» .

إن تطبيق الشريعة الإسلامية واجب، ومن لا يطبق شرع الله فهو كافر وخارج عن الإسلام. قال تعالى : (ومن لم يحكم بما أنزل الله، فاولئك هم الكافرون). إن شريعة الله فى الأرض لم تطبق، لذا يمكن القول إن المجتمع الذى يبتعد عن الشريعة الإسلامية ما هو إلا حكومة جاهلية .

إننا إزاء موقف الحكومة من عدم تطبيق شرع الله نرى أن الدين والخلافة لن تعود إلا عندما تتبدل الدولة بأخرى تحكم بما أنزل الله. إن هذا هو موقفنا، لذلك نحن نسعى بكل الطرق والوسائل أن نزيل الدولة الظالمة. إننا نقف ضد هذا النظام الذى يطبق قوانين البشر لا قوانين الله. إن أغلب القوانين التى تطبقها الدولة بعيدة عن الإسلام ويجب تغييرها. إننا ضد الحكومة، ويجب أن تكون لنا القيادة من أجل نشر الدين. إننا من أجل هذا الهدف نقف ونجابه الحكومة ونخرج عن شرعيتها .

هناك آراء كثيرة حول الخروج عن شرعية النظام أو مجابته، أبرزها ما يسمونه بالتطرف. والتطرف من وجهة نظري هو الخروج بقول أو فعل عن النظام، ما دام النظام صالحاً في الدين والدنيا، ولا يظلم أحداً، فعندئذ يعتبر التطرف تطرفاً بمعناه الصحيح. والمتطرف هو الشخص الذي يصل في غلوّه في الدين إلى مخالفة نصوص القرآن والسنة وإجماع العلماء والأمة. فالتطرف هو الخروج عن الدين وابتداع أمورٍ محدثةٍ عن الدين. وأحب أن أشير هنا إلى أن الجماعة تستخدم القوة والعنف تجاه الحكومة لا تجاه الناس. إننا نستخدم العنف مع الذين يستخدمونه ضدنا، إننا في موقف دفاع عن النفس، فالعنف الذي يصدر من الجماعة الإسلامية هو سلوك شرعي لأنه دفاع عن النفس أمام قوة ظالمة .

إن التطرف هو الابتعاد عن الدين، فإذا كان الإعلام قد وصف الجماعة الإسلامية بالتطرف، ونحن نمسك عليه كجمرة من النار، فإننا نرى أنه حكم جاهلي وأعمى، لأنه لا يتفهم أنهم هم الذين ينطبق عليهم مفهوم التطرف والكفر .

وإذا كانت الحكومة في مواجهة وصفنا بالتطرف، فهي أيضاً تغالى في تطرفها وذلك في عدم تطبيق الشريعة الإسلامية، فلابد من استخدام العنف والقوة لإزالة هذا النظام الكافر وإقامة الخلافة الإسلامية.

إننا نتعامل هنا وفقاً للحديث القائل : «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، ومن لم يستطع فبلسانه، وإن لم يستطع فبقلبه» ، ونحن لا نكره أحداً، ولم نجبر أحداً. ولكن إننا نجبر الحكومة التي تحلل بفسادها كل شيء. ولكن

لن يدوم ذلك طويلاً فله العزة ورسوله والمؤمنين «قلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق». لقد قال سيدنا عمر رضي الله عنه : «إن رأيتُموني على حق فاتبعوني، وإن رأيتُموني على باطل فقوموني، فرد رجل وقال بسيوفنا، رد عمر وقال : «الحمد لله الذي جعل في أمة محمد من يقوم عمر بسيفه» .

أما عن تصورات صاحب الحالة للمفاهيم الآنية فهو يقول إنه يجب أن تمزج الثقافة والتعليم بالثقافة الإسلامية، وأنه لكي تخرج الحكومة من أزمته وتبعيتها ينبغي أن تلتزم بتعاليم الدين وأوامر الله ونواهيه وأنه لكي تسود الديمقراطية يجب الرجوع إلى كتاب الله، إن كل شيء لا بد من رده إلى الله ورسوله .

الحالة الثالثة

الفراغ الایدیولوجی والقضية مع المجتمع

یرى صاحب هذه الحالة أن انضمامه لهذه الجماعة یرجع إلى عام ١٩٨٤، حيث جذب إليها عن طریق أحد زملائه فی العمل، حين دعاه إلى الصلاة مع الجماعة فی أحد المساجد. إن سبب انضمام صاحب هذه الحالة يعود إلى سبیین، الأول هو حبه لنشر الدین، وإعلاء كلمة الحق، وتطبيق الشریعة الإسلامية «إننى أتانى وازعُ روحى من عند الله بأن هؤلاء الأخوة یسعون من أجل صلاح الإنسان عن طریق الإسلام فاشترکت معهم». ولكن هناك موقف آخر جعله ینضم إلى هذه الجماعة، فهو یقول : «لقد واجهت مواقف كثيرة جعلتنى التحق بالجماعة، وأتمسك بها، وعانيت قسوةً وافتراءً وتعذیباً بغير حق من قلوب لا تعرف الرحمة والسماح» .

لقد التحقت بالجماعة نتیجةً لمسئولیتی نحو دینی ووطنی. كنت أعمل مع كل صوت ینادى بإعادة الناس إلى دینهم حتى هدانى الله عز وجل للعمل بهذه الجماعة. إن التحاقى بالجماعة غیر كثيراً من أخلاقى وسلوكى، إذ تأثرت ببعض الناس الذین وجدت فیهم القوة الحسنة. لقد ندمت كثيراً على

عدم التحاقى بالجماعات قبل هذا التاريخ (يقصد تاريخ التحاقه بالجماعة) نظراً لخضوعى لأهواء الشيطان، إننى أحمد الله على أنه هدانى إلى صراطه المستقيم.

إن التحاقى بهذه الجماعة سبب لى بعض المشاكل مع أسرتى، فلقد عارضتنى الأسرة فى ذلك، والحقيقة أن السبب فى ذلك لا يعود إلى أن هذه الجماعة سيئة أو سمعتها غير جيدة، بالعكس إن المعارضة جاءت من أشكال الممارسات التى تتم من قبل الحكومة تجاه الجماعة «إن الأسرة كلها كانت مشفقة على وعلى أمثالى من هول ما تقوم به ضدنا» .

لقد أردت من داخلى الرجوع إلى الله والدين الإسلامى حيث أن الدين عند الله هو الإسلام. إن دخولى الجماعة عرفنى كيف أتحاب مع الأخوة فى الله، من أجل إقامة الخلافة الإسلامية. لقد كانت حياتى مليئة بالبدع والخرافات مثل التضرع لأولياء الله، وما إلى ذلك. فالإنسان لا يطلب إلا من الله. فقد قال تعالى : (ادعونى استجب لكم). وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : «كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار». إن الدخول فى الجماعة جعلنى لأول مرة أعرف أشياء كثيرة عن الإيمان الصحيح. إن معرفتى بهذا الأمور تأثرت بها أسرتى وأصبح جزء كبير فيها يهتم بأمور دينية لأنهم رأوا أننى أتبع أسلوب الدين الصحيح .

لقد تعلمت كيف نتعامل مع الواقع، وأن نلتزم بتقوى الله ومخالفته وترك ما كنا نخالف به الله مثل رؤية السينما والتلفزيون وما يعرضه الإعلام السيئ، وأيضاً التعامل مع البنوك التى تتعامل بالربا، إننى أمام كل ذلك قد

وهبت نفسى إلى الله والدعوة فى سبيله لنشر الوعى الدينى الصحيح،
والعمل على تأليف القلوب وتوحيدها على كتاب الله وسنة رسوله .

لقد كنت متمسكاً ببعض العادات والتقاليد الخاطئة الموجودة فى
المجتمع، ولهذا كنت أنظر له نظرة عادية، وذلك لأنه لا يضر ولا ينفع. كنت
أمارس كل الأنشطة، وخاصة الرياضة، واستمع للراديو وأشاهد التلفزيون
وأذهب للسينما. وبعد أن عرفت أنها من أفعال الشيطان، لأنها تلهو بنا
بعيداً عن ذكر الله، فقد باعدت بينى وبينها. إننى أشفق على أمثالى الذين
يعيشون فى هذا المجتمع، إنهم نسوا حقيقة وجودهم فى الحياة، ولم يتذكروا
إلا ما سيوقع بهم فى مزالق الكفر، لقد امتنعت عن شرب السجائر
والشيشة، وكذلك امتنعت عن كل ما يغضب الله. لقد اكتسبت مجموعة من
القيم بعد الانضمام إلى هذه الجماعة، أستطيع أن أخلصها فى معرفة الله
حق المعرفة، ثانياً احترام الناس وحبهم جميعاً واحترام عقليتهم، ثالثاً
الوقوف بقوة أمام الظلم وخاصة ظلم الحكام والأقوياء على الضعفاء .

ويذهب صاحب هذه الحالة إلى أن أفكار الجماعة كلها تتركز فى
اعتبار المجتمع مجتمعاً جاهلياً، ما عدا الذين على فكر الجماعة، أى أن
المجتمع كله كافر ومرتد عن الجماعة الإسلامية، ويجب محاربته. ولكن هذه
الحرب يجب أن تسبقها الدعوة والأمر بالمعروف لتغيير الفساد الذى
استشرى فى المجتمع بشكل قوى. إننا نرى الأمل، الأمل الذى يتمثل فى
إقامة الدولة الإسلامية. إننى أرى أن الجماعات الأخرى جماعات غير
صحيحة وبعضها كافر .

أما عن تنظيم الجماعة فيرى أنها تتكون من الأمير في القمة، وهو أشد أعضاء الجماعة إيماناً، فهو بشر يخطئ ويصيب، ولكنه يعتبر الأفضل علمياً وأخلاقياً. وبالتالي فهو مرشد وموجه إسلامي، لا ينفرد برأيه، ولكنه يطبق نظام الشورى «إن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني». ثم يأتي بعد ذلك أعضاء الجماعة الذين يقومون بأنوارهم في كل المجالات .

وعن تمويل الجماعة، يرى صاحب الحالة التي نحن بصدد عرض أفكاره، أنه يأتي من خلال تبرعات الأعضاء في الداخل، وأيضاً من خلال الجماعات الإسلامية المنتشرة في الوطن العربي وخاصة البترولية منها. ويظن الناس أن تمويل الجماعة يأتي من جهات أجنبية، ولكن بحمد الله منذ أن قامت الجماعة، لم تأخذ أى عون مادي من جهة أجنبية سوى ما يدفعه أعضاؤها من قوتهم وقوت أبنائهم. إننا نقطع بعض النقود من رواتبنا، وهناك مشروعات يؤسسها أعضاء الجماعة، وذلك عن طريق التبرعات التي تجمع يوم الجمعة في المسجد. أى أن التمويل ذاتي ولا يأتي من خارج الجماعة .

ويرى صاحب هذه الحالة أن الحكومة تحارب الجماعة وتطارده الإخوان في كل مكان، وتشوه صورتهم بين الناس عن طريق أجهزتها الإعلامية. ولكن أرى أن الإنسان لديه وازع ديني وروحي يحتم عليه العطف على الإخوة الذين ليس لديهم سوى عبادة الله والجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمة الحق ونشر الدين. إن الحكومة القائمة لا تعمل بكتاب الله وسنته، لذا فإننا نرى أنها فاسقة. إنه ينبغي أن تقوم الدولة الإسلامية التي تحكم بشرع

الله، فالشريعة صالحة لكل زمان ومكان مهما تبدل الحال وتغير، إن الحكومة تستخدم قوانين وضعها الإنسان لذا فهي قوانين غير صالحة ما دام هناك قانون رباني لا يترك صغيرة ولا كبيرة. لقد جاء الله بشرع لا يأتيه الباطل من خلفه أو من بين يديه.

نحن كمسلمين رضيينا بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً ونبياً ولا نرضى حكماً أو قانوناً يحكمنا غير ما رضيينا به، فإذا كان يوافق شرع الله سمعنا وأطعنا، وإن كان عكس ذلك، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

إننا نريد خلافة إسلامية، لأن الخلافة الآن هي فريضة غائبة وجب على المسلمين إعادتها، ويأثم كل مسلم إن لم يعمل على إعادتها. إن نموذجنا الأمثل هو الدولة الإسلامية، وإن خير نموذج في ذلك هو خلافة عمر بن الخطاب التي اتسعت فيها مساحة الدولة الإسلامية.

إن أسس ومبادئ الجماعة تقف موقفاً معارضاً من الدولة، فنحن نعارض الحكومة معارضةً صريحةً لأنها تبتعد عن الطريق القويم، ويسود فيها نوع من الإهمال خاصة في المال العام، كما أنها تأتي بأخطاء فادحة خاصة في الإعلام. إننا لكل فسوقها نعارضها، ولذلك يقولون عنا متطرفين، ولكن لو أدركت مفهوم التطرف لاتضح لك أن هذه الحكومة هي التي يمكن أن نصفها بذلك .

إن مفهومنا للتطرف يتخلص في أنه الخروج عن المألوف وإنشاء الفساد، وإحداث أفعال تجعل الأمن مشوشاً في الداخل، أو بمعنى آخر، هو

الخروج عن القوانين الإلهية التي شرعها الله سبحانه وتعالى، وهناك من يقول إن العنف هو سبيل الجماعة الإسلامية، وهذا خطأ شائع، لأن سبيلنا يتلخص في إرضاء الله ورسوله. فليس هدف الجماعة هو العنف أو الإرهاب، وإنما هدفنا هو سعادة الناس ليس في الدنيا فقط، وإنما في الآخرة.. ولكن لن يتم ذلك إلا برفع راية لا إله إلا الله محمد رسول الله .

فالتطرف في مفهومنا هو البعد عن الدين الإسلامي، فكما يقول الشيخ الشعراوي إذا أمسكت بعضاً من المنتصف، فإنك تكون أمسكت بكل شيء. أما إذا بعدت عن المنتصف، واتجهت للطرف، فإنك تكون قد بعدت عن الجوهر، كذلك في الدين، فإذا بعدنا عن الجوهر نكون متطرفين، فمن يكون حينئذ متطرفاً. لقد أصبح هذا المفهوم سبباً لكل مُلتجئ، وأيضاً لكل من يعادي الحكومة، حتى ولو كان على سبيل القصد. ولكن أأست معي أن الحكومة أيضاً متطرفة، لا لأنها تبتعد عن الدين الصحيح فقط، ولكن أيضاً لأنها تتطرف في تعاملها مع من تسميهم متطرفين .

نحن ضد الحكومة لأنها تمارس ما يسمى بالاعتقال العشوائي، وتطارد وتلاحق أعضاء الجماعة. في كل مكان «إيه رأيك في واحد بيحرمك من إتك تعبد ربك الذي خلقك وسواك في أحسن صورة، مش ممكن أنك تحاول أن تقضى عليه؟» هذا هو موقفنا بالضبط .

ويذهب صاحب هذه الحالة إلى أنه بجانب الهدف الرئيسي للجماعة المتمثل في إنشاء الخلافة الإسلامية فإن أهداف الجماعة تتلخص في أن الله غايتنا والرسول زعيمنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا، وهذا يعني ضرورة تحكيم كتاب الله في الأرض. أي أن هدف الجماعة هو الدعوة إلى

الله وتطبيق الشريعة الإسلامية، وإقامة الخلافة الإسلامية. إن الجماعة تريد تطبيق الشريعة عن أى طريق سواء السلمى أو الثورى، وطالما أن الحكومة القائمة تصم أذانها عن الطريق الأول، فلا يبقى أمامنا إلا الطريق الثورى وذلك لإقامة ما يلى :

أولاً : الالتزام بتعاليم الدين وتطبيق الشريعة الإسلامية .

ثانياً : الرجوع إلى كتاب الله وسنة النبی صلى الله عليه وسلم .

ثالثاً : حل مشكلات الجماهير والوقوف أمام عمليات استغلال المواطنين من قبل الدولة .

رابعاً : الحكم بما أنزل الله، ونشر الوعي الدينى والأخلاقى القويم .

خامساً : استبدال العلوم الوضعية بأخرى دينية .

ويحاول صاحب الحالة أن يعاود الحديث عن الأمير مرة أخرى، فيرى أن الأمير على مستوى الفيوم يعتبر من أشد المتمسكين بقيم الجماعة، فهو أيضاً نائب الأمير العام فى القاهرة، وهو يعد الرجل الثانى بعده. لقد كان يبلغ من العمر حوالى ٤٢ سنة، وحاصل على بكالوريوس زراعة الفيوم، وكان يجيد لعب الكاراتية والكنج فو والتايكنو، وكان يقوم بتدريبتنا، وكان يعلم الأخوة كيفية الدفاع عن النفس، وكذلك تغيير المنكر. لقد كنا نستخدم القوة فى تغيير المنكر وأذكر لك حدثين من حوادث استخدام العنف، فقد كان هناك رجل من الصوفية لا يهتم إلا أكل الكشك، وقد نصحته الجماعة أكثر من مرة بالآ يأتى بأفعال مخالفة للدين، ولكنه لم يرجع عنها، لذلك كلف الأمير بعض أفراد الجماعة بعمل كمين له، وبالفعل تم إيقاعه وضربه حتى

انتهى عن تصرفه. أما الحدث الآخر فهو أنه فى إحدى الليالى جاءت فرقة للرقص والموسيقى فى القرية لإقامة إحدى الأفراح، فكلّف الأمير مجموعة من الإخوة لإنهاء هذا الفرح، وقد تم ذلك، ومن يومها ولم تأت للقرية أية فرقة أخرى .

أما موقف المبحوث من بعض القضايا، فيرى أن تعليم المرأة واجب ولكن فى مجال يختص بها، ويبعدا عن الاختلاط. وعن خروجها للعمل، فيرى أنه يمكن ذلك إذا ما دعت الضرورة لذلك. وعن تنظيم الأسرة فهو غير موافق عليها بالمرّة. وعن التخلف والتبعية، فيرى أنه لا بد أن تكون هناك قيادة إسلامية؛ فلا تبعية لشرق أو لغرب وإنما التبعية للإسلام. وعن موقفه من الصلح مع إسرائيل فهو غير موافق عليه لأن إسرائيل تريد أن تأخذ كل أراضى العرب من النيل إلى الفرات. وعن الديمقراطية يرى صاحب هذه الحالة أنها تعنى حكم الشعب بالشعب وإصلاح الشعب، ولكنها غير مطبقة. وعن الرأسمالية فهو لا يعرف عنها، وعن الشيوعية، فيرى أنها دولة كافرة وجاهلية .

الحالة الرابعة

الاغتراب السياسى والعودة إلى الأصول

يرى صاحب هذه الحالة أنه انضم للجماعة الإسلامية التي يتزعمها د . عمر عبد الرحمن منذ أن كان في الصف الثالث الثانوى، ويرجع انضمامه إليها إلى الأمير ذاته، حيث تعلق بشخصية الأمير من خلال خطبه التي كان يلعب بها شعوره ويؤججها. لقد استمع صاحب هذه الحالة إلى الأمير في أول مرة أثناء تلقيه درسه الخصوصى الذى كان يقترب مكانه من الجامع الذى يلقي فيه الأمير دروسه الدينية «كنت أخذ درساً خصوصياً في إحدى المواد الدراسية، وأنا في المدرسة الثانوى، فكان منزل الأستاذ بجوار مسجد د . عمر، وعلى أثر إعجابى بكلامه الذى شدنى، ذهبت لأصلى المغرب، ثم بعد ذلك انضمت إلى الجماعة» .

ويقول صاحب هذه الحالة، أنا اقتنعت بحديث وشخصية الدكتور عمر، وكلامه جعلنى أنضم إلى هذه الجماعة، بالإضافة إلى أن فكر الجماعة يعطى الأمل في حل المفاسد التي يعاني منها المجتمع بالأدلة الشرعية .

لقد كان قرب المسجد من مكان الدرس هو السبب في الانضمام إلى الجماعة، والرجوع إلى الحق، والاقتناع بأن ما تقوم به هذه الجماعة من

نشر لكلام الله، وإقامة شرعه، هي الأسباب الحقيقية التي جعلتني أنتمى إلى الجماعة الإسلامية .

لقد نشأت منذ صغرى منطوياً جداً، والأسرة كانت منزعةً لهذه الصفة، حتى أن والدتي كانت تدعوني دائماً إلى الاتصال بأقاربي، وكانت الأسرة تدفعني باستمرار إلى مشاركة أصدقائي في الاستذكار حتى لا يؤثر هذا الانطواء على شخصيتي، وأحب أن أقول شيئاً مهماً : إننى برغم انطوائى، فإننى كنت متفوقاً فى دراستى، فقد استطعت أن أجمع بين المصنفين الخامس والسادس الإبتدائى فى سنة واحدة، لقد كنت دائماً نهماً فى القراءة، والحقيقة أن الأسرة كانت تشجعنى على ذلك، حيث كان والدى دائماً ما يزودنى بالكتب الثقافية، كما أتى كنت مواظباً على قراءة جميع الجرائد، وكنت أرى أن جريدة الوفد هى التى تنشر الأخبار الصائقة، وذلك قبل أن أنضم للجماعة. وفى ذلك الوقت كنت فى حالة التكوين الثقافى والشخصى .

ومن خلال قراءتى المتعددة استطعت أن أقف على العديد من أنواع الحكم والسياسات المختلفة، وعرفت أيضاً أن أميز بين مختلف أنظمة الحكم التى عرفها المجتمع المصرى، وأحدد إلى أية فترة ينتمى نظام الحكم. فعلى سبيل المثال استطعت أن أعرف أن نظام الحكم الحالى أفضل من حكم عبد الناصر والسادات، لأن لكل منهما أخطاء فادحة كان بها كثير من الأخطاء، فعبد الناصر كان ديكتاتوراً وطبق الاشتراكية دون أن يفهمها، وكذلك السادات طبق سياسة الانفتاح الاقتصادى التى جعلت أو أنشأت مجموعة من «الحرامية» وأصحاب رؤوس الأموال .

كنت في هذه الفترة أكون رأياً فقط. كنت أقرأ حتى أصل إلى هذه الاستنتاجات، فلم يكن أمامي سوى المذاكرة والنجاح والتفوق، حتى يمكن من خلال موقعي أن أتحدث وأقدم رؤيتي للمجتمع الذي أعيش فيه، وأقيم الواقع القائم، وما يحدث حولى. أحب أن أذكرك أن ذلك يتصل فقط بفترة ما قبل انضمامي للجماعة الإسلامية .

ويضيف صاحب هذه الحالة، إننى قبل التزامى - ويقصد هنا انضمامه للجماعة الإسلامية - كنت مثل أى فرد فى هذا المجتمع، أشاهد التلفزيون واستمع للإذاعات، ومثل ما ذكرت من قبل أنتى. أقرأ جميع أنواع الثقافة، وكنت أقرأ حتى ما يخالف الإسلام. أما الآن فقد أقلعت عن كل ما كنت أفعله، لأننى منذ أن عرفت الله من خلال الجماعة الإسلامية، وأنا أحدد ما أقرأ وما أسمع. لأننى أرى أن كل ما يقدم من خلال الإذاعة والتلفزيون وحتى بعض الجرائد تبعد الإنسان عن الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. لقد عرفت الله حق المعرفة، وعرفت كيف أميز بين ما يبعدنى عن الله وما يقربنى إليه .

إننى من خلال الجماعة الإسلامية «تنظيم الجهاد» عرفت أن هذا المجتمع كافر، وأنه ينبغى تغييره، وهذا التغيير لن يتم إلا بوجوب قيام الخلافة الإسلامية. هذا الشئ الذى يُعتبر هدف الجماعة الأسمى، والذى ترى أنه لن يتحقق إلا من خلال ثلاثة أشياء هي :

١ - الدعوة الفردية .

٢ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٣ - جهاد الطغاة من الكبار والحكام الذين يسعون في الأرض فساداً .

إننا نسعى إلى تغيير المنكر «وهو تحويل المجتمع الكافر إلى مجتمع مسلم» باليد، نعم باليد، ولكن لابد أن يسبق هذا الفعل عدة أشياء هي : الوعظ، والتهديد، وبعد ذلك يأتى استخدام اليد. ألا ترى أن هذه هي الأدوات التى يمكن أن تكون مثالية من أجل الإتيان بالمجتمع الإسلامى.

إننا من خلال منهج الجماعة الإسلامية فى الدعوة وإقامة المجتمع الإسلامى نرى أن تنظيم الجهاد، حسب ما تسميه الحكومة، هو حركة تغييرية وليست حركة إصلاحية. ولكن التغيير هنا لا يعنى أننا نريد أن نقوم بانقلاب، فهناك فرق كبير بين التغيير والانقلاب. فالتغيير هنا يعنى تحويل المجتمع برمته إلى الطريق الصحيح وهو الإسلام، أما الانقلاب فيعنى تغيير حاكم بدلاً من حاكم، إننا نريد إقامة الدولة التى تستمر حتى قيام الساعة، نريد دولة إسلامية تسلك منهج الله سبحانه وتعالى وتهتم بالدرجة الأولى بالتربية والأخلاق .

ويمكن أن نقول هنا إن أى تغيير لابد أن يتم عن طريق القوة. تقدر تقوللى إن العالم عرف أى تغيير دون عنف. فلايد من العنف. ولكن العنف الذى نصدره تجاه الحكام هو جهاد، فكيف يكون الجهاد عنفاً. الجهاد هو أصل وليس فرع، فكيف يكون تشدداً أو تطرفاً. إننا حينما قتلنا السادات فرح الجميع، فرح الشيوعيون والناصريون والعلمانيون. كل التيارات الفكرية فرحت وسعدت بذلك. لقد كان قتل السادات مطلباً شعبياً، لأنه هو الذى حفر

قبره بيده، إن قتل السادات يعتبر رسالة إلى كل حاكم يأتي من بعده ويستبد ويظلم. إن قتلنا للسادات باعتباره أكبر رأس في الدولة، لا يُعدُّ عنفاً ولا تطرفاً، فنحن نعتبرها رسالة وفريضة .

لقد كنا على وشك أن نمسك بالحكم بعد أن قتلنا الطاغية. لقد كنا على مقربة من التحكم في المجتمع كله وفي الإذاعة والتليفزيون والإعلام كله. إننا أردنا إيجاد المجتمع الإسلامي، الذي هو إعادة لحكم الله في الأرض الذي أصبح غريباً عن دار الإسلام، التي تعد الآن دار الكفر والحرب. إن حربنا ضد المجتمع الكافر هي حرب ضد الحكام، ضد الأنظمة العلمانية الغربية، ولوجه الله تعالى .

إننا ننطلق من أن النظام الحاكم هو رأس كل خطيئة، وبالتالي لو تغير النظام، فإن حال هذا المجتمع سوف ينصلح، إن هدف الجماعة هو نفس الهدف من أيام نوح عليه السلام حتى قيام الساعة. إن هذا الهدف يتلخص في تعييد الناس لربهم، وإقامة الخلافة الإسلامية .

إنه من أجل ذلك نحاول الالتزام بآداب الإسلام، وندعو إليها من خلال اللقاءات في المسجد والندوات والكتب التي توضح أهداف الجماعة. إننا نحاول إقامة الدولة الإسلامية ونطبق شرع الله. ولكن لن نفعل ذلك مثلاً يحدث في السعودية مثلاً، أي أن نقطع يد السارق الذي يسرق من أجل أن يعيش، ويوجد في المقابل مجموعة من الناس تتربى ثراءً فاحشاً، وتحاول أن تبقى على هذه الأوضاع كما هي دون أدنى تغيير. إننا سوف نقيم العدالة أولاً ثم نحاسب الناس. إنه لكي تقوم الدولة الإسلامية سوف ننشر العدالة

الاجتماعية في ربوع البلد حتى تكفل للناس الأمن والأمان والحرية وكل الخدمات، ولكن لن تقوم هذه الأمور إلا بما نسميه نحن بالتكافل الاجتماعى الذى نحاول أن ندعمه بيننا من خلال التمويل الذاتى .

وأحب أن أردد هنا على بعض الاتهامات الموجهة إلى الجماعة الإسلامية؛ ذلك الاتهام الذى يرى أن الجماعة الإسلامية تُدعم ماديًا من الخارج وخاصةً من إيران، وهذا كلام باطل، والدليل على ذلك أنهم لو قالوا هذا الكلام عن السعودية، أى أنها هى التى تمدنا بالمال، أو ليبيا وحاكمها صاحب الكتاب الأسود، أو أية دولة أخرى إسلامية، لسقط هذا الكلام منذ اللحظة الأولى، ولكن لن يجدوا إلا إيران لأنها النموذج الإسلامى الوحيد الثورى فى المنطقة، وذهبوا إلى أنها هى التى تدعمنا لأننا ننهج الثورة والعنف لتغيير المجتمع. ولكن أقول هنا استبعدوا إيران للأسباب الآتية :

أولاً : عدم وجود اتحاد فكرى، فإيران تسببُ الصحابة ما عدا علياً كرم الله وجهه، وتسلك فى ذلك مسلكاً متطرفاً على عكس أية جماعة إسلامية فى مصر .

ثانياً : إن إيران خارجة من حرب وليس بها إمكانيات تستطيع أن تساعد أية جهة أخرى. لذلك هى عاجزة عن إمداد أية جماعة خارجها لأن داخل إيران مشاكل كثيرة .

لهذه الأسباب أقول أن لا إيران ولا غيرها تمدنا بأى تمويل، التمويل ذاتى من خلال أعضاء الجماعة، وما تقوم به الجماعة من مشاريع خيرية أو مشاريع اقتصادية بسيطة .

إننا فى هذا الشأن نعتد على الله وعلى أنفسنا، نعتد على المنهج الربانى الذى يزودنا ب زاد تربوى وروحى يزيد كل يوم من إمكانياتنا. إننا نتلقى كل يوم مزيداً من المساعدات من الإخوة الذين ينتشرون فى كل مصر وفى كل قطاعاتها ومؤسساتها من الأعمال البسيطة حتى ضباط الجيش وأساتذة الجامعات. إنهم جميعاً يدعمون الجماعة لإعلاء كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله .

وأحب أن أوضح أنه مهما كانت مكانة عضو الجماعة فى المجتمع، فإنه عضو فقط. لا يعنى أنه إذا كان أستاذاً فى الجامعة، أننا نعامله مثل موقعه، إننا نعامله كأى عضو. أى أنه لابد أن يتبع التعليمات التى تأتى من أمير الجماعة الذى هو بالتالى بمثابة ولى أمر وكلامه نافذ على الجميع. فالطاعة للأمير واجبة، إلا فيما يتصل بمخالفة أوامر الله «فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق» . ولكن لا يعنى ذلك أن كلام الأمير نهائى، فهناك مجلس شورى يتم فيه اتخاذ الأمر، ولكن نحن نعمل بما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة حديثه الذى يقول : «إن كنتم ثلاثة فأتَمروا». وهناك أيضاً نائب الأمير الذى يخلف الأمير إذا غاب فى كل شئ. ثم هناك بعض الأعضاء الذين يتولون شئون الجماعة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية وحتى القتالية .

وفىما يتصل برأى صاحب هذه الحالة فى القضايا التالية، يقول إن خروج المرأة ممكن إذا كانت تتبع تعاليم الإسلام، وفى الزى الإسلامى، وفى المكان المناسب، وإذا كانت هناك ضرورة. وإذا كان الله سبحانه وتعالى

يحثُ على العمل والتعليم فيجب أن نهَيَّ لها المكان المناسب سواء في العمل أو التعليم بعيداً عن المخالطة .

وعن الرأسمالية يرى صاحب هذه الحالة أنها دعوة لإقامة المجتمع المقسّم إلى طبقات. والإسلام براءٌ من ذلك. وعن الشيوعية يقول لقد انتهت والحمد لله في بلادنا، وهي منطق خاطئ شرعياً .

أما عن الصلح مع إسرائيل فلن يتحقق، وإذا كان جزء منه قد تحقق، فلن يدوم طويلاً لأن الإسلام أت، والإسلام لا يدعو إلى ذلك. إننا ننظر إلى فلسطين، وما دام هذا هو الهدف فلن تدوم إسرائيل طويلاً، قد يفوت عقد أو أكثر أو قد يكون قرناً، ولكن الله يحدثنا أنهم سوف يتفرقوا كما تجمعوا وهذه حتمية سوف تحدث إن شاء الله .

وعن الديمقراطية، وعن إمكانية تحقيقها، يقول إن الديمقراطية في بلادنا وهم وكذب وخداع طالما كانت بعيداً عن الإسلام ونستخدمها بأسلوب الغرب. هذه الكلمة غريبة عنا طالما لا تُقرن بأسلوبها الإسلامى الصحيح المتمثل فى الشورى والحرية والمساواة .

وفيما يتصل بتنظيم الأسرة فيرى صاحب الحالة أنه ليس حراماً، ولكن الحرام هو التحديد. إن العالم الغربى يريد أن يتحدد عدد سكاننا حتى لا نتفوق على إسرائيل. الهدف الرئيسى هو أن تتفوق إسرائيل علينا وتصبح النعمة التى أنعم الله علينا والتى سوف يتباهى الرسول بها يوم القيامة، منعمة. إنهم يريدون لنا القلة حتى تكون الغلبة لإسرائيل ولهم .

الحالة الخامسة

من التعاطف الدينى إلى الثورة

يرى صاحب هذه الحالة أن انضمامه إلى الجماعة الإسلامية كان عملية سرية تماماً، إذ كان يخفيها عن أسرته التي كانت تعارض مثل هذه الجماعات، والتي ترى أنها غير شرعية، وهى فى ذلك لا تختلف عن رأى السائد فى المجتمع. ويقرر صاحب الحالة الراهنة أن تاريخ انضمامه يعود إلى عام ١٩٨٠ حين كان يعيش فى صعيد مصر قبل التحاقه بعمله الحالى فى عام ١٩٨٤. لقد قرر صاحب هذه الحالة أيضاً أن السبب الرئيس لانضمامه إلى الجماعة الإسلامية تحديداً يرجع إلى نشاط المسيحيين فى دعوتهم التبشيرية للمسيحية ورغبتهم الرئيسية بالاستقلال بالصعيد لإقامة دولتهم. ويقول فى ذلك «إننى أثناء إقامتى فى أسبوط رأيت رأى العين كيف أن المسيحيين غيرون على دينهم ويعملون على إقامة دولتهم.. رأيتهم يخزنون السلاح، ويحاولون استمالة المسلمين الفقراء لكى يستنصروا، رأيت الدين وهو يجذب الناس ويحاول تخريب عقولهم، ويمدهم بالفلوس علشان يغيروا ملتهم» .

إن هذا العمل هو الذى دفع صاحب هذه الحالة إلى الانضمام إلى الجماعة الإسلامية من أجل محاربة هؤلاء، ويهدف ابتغاء مرضاة الله. لقد التحقت بهذه الجماعة من أجل تعبيد الناس ومحاربة من يحارب شرع الله، بهدف إقامة أركان الإسلام كما أوصى الله سبحانه وتعالى. ويضيف صاحب هذه الحالة أنه فى بادئ الأمر لم يكن يوجّه حقه أو عداؤه إلا للمسيحيين، وبعد ذلك بدء يوجّه عداؤه إلى الدولة التى تسمح لهم بالانتشار وتقبل الهدايا والعطايا من الخارج. إن علاقة الدولة مع الأمريكين تعنى علاقة التبعية التى سمحت بانتشار مثل هذه السلوكيات التى تشجعها الكنيسة. الكنيسة لها نشاط واضح فى الصعيد، فهى دولة داخل الدولة .

إن ممارسات الحكومة ضد الدين هى التى جعلت الجماعات الإسلامية تنتشر فى مصر. إن الشباب المسلم بدأ يدخل أفواجا إلى الجماعات الإسلامية وخاصةً بتنظيم الجهاد عندما بدأ الفساد يدب فى الحكومة. لقد انتشرت الجماعات الإسلامية فى كل مكان : فى المصانع والمدارس والجامعات وكل الوظائف. وهذا لا يرجع لأن الفساد يسود فى المجتمع فقط؛ أو أن الشباب يهرب من المجتمع مثما يزعمون، ولكن لأن الشعب المصرى بطبيعته شعب متدين، وهو دائماً ينشد الجماعة، ودائماً ما يستجيب لندائها. إن معارضة الدولة لانضمام الشباب إلى الجماعات الإسلامية خوفاً من حدوث الدولة الإسلامية أو قيامها، قد جعلها توجه العنف إلى كل من ينتسب إلى الإسلام .

والحقيقة أن كل عنف يقابله عنف مضاد. فعنف الحكومة هو السبب فى أن جماعتنا ترد عليها. هذا بالإضافة إلى أنها تريد أن تلغى شرعيتنا

التي تنبع من الإسلام. إن العنف الذي توجهه ضد الحكومة هو الذي جعل الحكومة تصفنا بالتطرف، أى الخروج عن نظام القانون القائم. إن التطرف فى نظر الحكومة هو ارتكاب أفعالٍ مخالفةٍ لشرعيتها. ونحن نرى أن الدولة تخالف شرع الله لذلك فهي فى نظرنا متطرفة فما هو فيها تريد أن تصفنا به. ونحن لأننا نريد شرع الله ونسير وفق الشريعة الإسلامية، فلا نرى أننا متطرفون «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً» .

«ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك...». أى أن الحكومة تعتبر ممن لا دين لهم، لا يحكمو بما أنزل الله؛ لذلك هى فى شرعنا بعيدة عن الإسلام. الجماعة تريد الدولة إسلاميةً تحكم بما أنزل الله وتطبق الشريعة الإسلامية. إن اعتراضنا على الحكومة وعلى قوانينها الوضعية والتي تبتعد عن الإسلام هو الذى يجعلنا فى نظرها ونظر الناس البسطاء متطرفين. كلا ورب السموات والأرض إنهم هم الطاغون والفسدون .

إنه ينبغى تطبيق الشريعة الإسلامية لإقامة الحكومة والخلافة الإسلامية.. إننا نريد خلافةً إسلاميةً لا ترضى بغير شرع الله. إن إقامة الخلافة الإسلامية سوف تُنهض المجتمع وتجعله يتقدم على كل المجتمعات . إن أهداف جماعتنا تتلخص فى إقامة شرع الله على أرضه، وذلك من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، سواء باليد أو بالقلب أو باللسان.

ويرى صاحب هذه الحالة أن لكل جماعة من الكائنات الحية تنظيم

معين من حيث تدرج المكانات. فعلى سبيل المثال نجد الطيور لها قائد يقودها في الطيران، وفي النمل والنحل نجد أن لهم قائداً فسيحان الله. كيف يكون ذلك للطيور والحيوان وكيف لا يكون للإنسان الذي كرمه الله حتى على الملائكة. إن الجماعة الإسلامية يتمثل قائدها في الأمير العام للجماعة الذي تكون له الطاعة والاحترام، الذي يطيعه جميع الأعضاء ويلتزمون بأوامره. وتنظيم الجماعة يبدأ من الأمير ويأتي بعده نائب الأمير، ثم بقية الأعضاء المسئولين عن التخصصات المختلفة، ثم الأعضاء العاديون. ودائماً ما يتم الاتصال بين تنظيم الجماعة داخل المسجد أو حسب الظروف التي غالباً ما تتجمع وفقاً لها .

وبالنسبة لتمويل الجماعة يرى صاحب هذه الحالة، أن تمويل الجماعة يكون من الأعضاء المشتركين في الجماعة. أما ما يقال عن أن هناك أموالاً تأتي من إيران أو العراق - أو أي بلد آخر - للقيام بالتخريب فهذا باطل، لأن أعضاء الجماعة الإسلامية ليسوا مخربين، ولا يشكلون عصابة للإرهاب أو القتل أو التدمير «إنهم فتية آمنوا ربهم».. إنهم يعملون على إقامة شرع الله فقط .

هل إقامة شرع الله يعتبر موقفاً معادياً من الحكومة. إننا نعادي فقط الجاهلية، نعادي الحكم الفاسد الذي يبتعد عن الإسلام، الإعلام الفاسد الذي يصورنا دائماً بالتخريب والتطرف والتدمير. إننا نحاول أن نمول ذاتنا من خلال إقامة شرع الله.. شرع الله فقط. لذلك لا نقبل من أية دولة مهما كان وضعها أن تمدنا بالمال حتى لا نكون أسرى لموقفها من مصر .

أما موقف صاحب هذه الحالة من إسرائيل والصالح معها، فهو يرى

أن إسرائيل مجتمع فاسق لا يصلى ولا يصدق، ويكذب، ويعيش على أمن شعب آخر، ولا يعرف الشفقة، ولا يعرف الوفاء بالعهد، فهم شعب ناقض للعهد منذ أيام الرسول صلى الله عليه وسلم، ويقولون مالا يفعلون، فالجماعة ترى أن إسرائيل هي ألد أعداء الإسلام ويجب قتالها .

أما الموقف من المرأة وتعليمها وخروجها للعمل، فهو يرى أن مكانها ومملكتها هو المنزل لأن خروجها فتنه، وأن الإسلام حرم الاختلاط الذى دنس أفسد كل نواحي الحياة. فالإسلام كرم المرأة ومنحها كل حقوقها لا لشيء إلا لصيانتها، لأنها أساس المجتمع. فخروجها جاهلية. أما بالنسبة لتعليمها فنحن مع ذلك ولكن فى إطار ما يسمح به الإسلام.

وعن تنظيم الأسرة فيقول إنه ليس حراماً، وإنما التحديد هو الحرام وقد أجمع العلماء على ذلك. وفيما يتصل بموضوع الرأسمالية والشيوعية ذكر أن الخوض فى هذين الموضوعين هو بُعد عن الإسلام لأنهما ضد الإسلام. أما عن الديمقراطية فيرى أنه مفهوم غربي يبعدنا عن قضايا الإسلام، لذلك لابد أن نتحدث عن قيم ومفاهيم الإسلام فقط .

الحالة السادسة

من أزمة المجتمع إلى التراث

يرى صاحب هذه الحالة أنه التحق بالجماعة الإسلامية في عام ١٩٨٩، وذلك من خلال أحد الأصدقاء الذي أرشده إلى هذه الجماعة. لقد انضمت إلى الجماعة لأنني رأيت فيها الإخلاص لوجه الله تعالى، والعمل من أجل نصرة الإسلام. إنها الهداية والرشاد. إن فكر الجماعة وسلوكها يتطابق مع الكتاب (القرآن) والسنة (سنة الرسول عليه الصلاة والسلام وأتباعه الصالحين) .

إن انضمامي إلى الجماعة الإسلامية عرضني لكثير من السوء خاصة من أسرتي، التي وقفت ضدي بشدة في هذا، وأنا أعذرهم في ذلك، لأنهم كانوا يخافون عليّ من بطش الحكم. هذا من جانب، ومن جانب آخر أنهم كانوا ينظرون إليّ وإلى أمثالي بأتنا متطرفون .

لقد كنت مثل كثير من الشباب (قبل الانضمام للجماعة الإسلامية) أصلي مرةً ولا أصلي الأخرى، وكنت ألعب الكرة وأمارس هواياتي كلها،

حتى معاكسة البنات. كنت أتكلم مع فلان وأترك الآخر، وأحب هذا، وأكره ذاك. وكانت لدى فكرة الثار الدائم لنفسى خاصة إذا اعتدى على أى شخص. كذلك كنت أشاهد باستمرار التلفزيون حتى فى أيام الامتحانات، وكنت أقرأ الصحف الحكومية، وكانت عندى فكرة مغلوبة، هى أن الأحزاب الأخرى تريد أن تأخذ الحكم وهى غير راضية عن النظام الحاكم. «وفى هذه الفترة لم أكن راضياً عن الحكومة، ولم أكن أستطيع أن أرجع كل الأمور إليها، فمثلاً فى بلدنا نجد الجمعية الزراعية تأخذ فلوسنا اللى زرعنا بها تحت بند الخدمات اللى قدمتها لنا مثل الري والمقاومة، أو أنك متقدرش تأخذ السماد أو البنور منها إلا بالواسطة» .

كل هذه الأمور كانت فى أواخر العام الأول لى بالكلية. وعندما سمعت كلاماً طيباً عن الإسلام من أحد الأصدقاء، وأن فيه الخلاص من كل آفات المجتمع، وصلاًحاً للأفراد، فقد بدأت فى قراءة الكتب الإسلامية التى فيها ترغيب للإسلام. ثم بدأت أتصل ببعض الأخوة فى الجماعة الذين زارونى فى منزلى فيما بعد، ثم قدموا لى بعد ذلك بعض المساعدات التى أعانتنى على استكمال دراستى .

ومنذ ذلك الوقت الذى رأيت فيه كيف يتكاتف المسلم مع أخيه المسلم، وأنا ملتزم بمنهج الجماعة وفكرها وأسلوبها فى الهداية. لقد انضمت إلى هذه الجماعة فى كل شئ عمله. فلما أحضر لقاءهم الأسبوعى المعتاد فى المسجد، واللقاءات الشهرية والاعتكافات السنوية، وكذلك أدعو الشباب من أجل انضمام المزيد منهم للجماعة. لقد حفظت القرآن كاملاً أثناء فترة وجودى داخل الجماعة، مع العلم أننى لم أكن أحفظ منه شيئاً .

وأحب أن أضيف أن هناك مجموعة من الأشياء تجعلك تنضم إلى الجماعة، أهمها أن الجماعة الإسلامية - وخاصة عن طريق أميرها - تقوم بمساعدة الطلاب. فعلى سبيل المثال يقوم الأمير بشرح واستذكار الدروس في المسجد. الدروس التي نأخذها سواء في المدرسة أو حتى في الكلية، كان الأمير له أسلوب بليغ في شرح الدروس، كما أنه حينما في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ألا وهي سنة صوم يوم الاثنين، وقد كان يقيم إفتاراً خاصاً في هذا اليوم لمجموعة الشباب الصائمين. إنه كان يُرَغَّب في كل شئ يقربنا من الله ورسوله .

لقد كان هذا الأمير - وما زال - يتمتع بحب الجميع، فهو قوى الشخصية، وأنه فذ في العلم - ما شاء الله - وأنه يعمل بإخلاص من أجل الدعوة الإسلامية، كما أنه يعمل لترغيب الشباب في الإسلام، ويرهبهم دائماً من البعد عن الإسلام الذي فيه الضلالة والنار والهلاك .

إننى من خلال انضمامي إلى الجماعة الإسلامية أستطيع أن أقول لك إن أهداف الجماعة هي السير على الكتاب والسنة والخلف الصالح وتطبيق حكم الله في الأرض. ليس هدف الجماعة الحكم، ولكن هدفها انتشار العدل. أما موضوع الخلافة التي نسعى إليها، فأنا أقول إن الجماعة الإسلامية والجهاد هما وجهان لعملة واحدة. وهدفنا أن تندمج الجماعات كلها تحت جماعة واحدة وأمير واحد. ولكن في الوقت نفسه لا نكفر أحداً «من قال لأخيه يا كافر، فقد باء بها أحدهما». ولكن لنا موقف من الحكومة التي تحكم بغير شرع الله، والتي بدلت الزكاة بالضريبة. إننا نرى أن نظام الحكم لن ينصلح، وأن المجتمع لن يتبدد الفساد فيه إلا بالرجوع إلى الله .

إن الجماعة الإسلامية تسعى إلى إقامة شرع الله، وإقامة الخلافة الإسلامية، ليس في مصر كلها فقط ولكن في العالم العربي، وذلك لمواجهة الطغاة وإقامة الشريعة الإسلامية، والقضاء على الانحلال الأخلاقي الذي نعيش فيه، ومواجهة المشكلات التي تواجه الشباب المصري، والتي تتعوق بينه وبين دينه. والحقيقة أن الجماعة تستطيع تحقيق مجموعة الأشياء هذه من خلال الدعوة لكتاب الله وسنة رسوله، والنهي عن المنكر والأمر بالمعروف «وقل ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة» .

ويرى صاحب هذه الحالة أنه لكي تنقضي كل المشاكل التي يواجهها المجتمع المصري لابد من إقامة الخلافة والشريعة الإسلامية. أي نظام حاكم لا يقيم شرع الله ويسعى إلى تعطيلها فهو نظام غير عادل وبالتالي فهو باطل. إن الجماعة الإسلامية ترى أن أي نظام غير النظام الإسلامي هو نظام كافر ويجب تدميره نهائياً. ومن أجل هذا تعارضنا الدولة لأننا جنود الله الذين نسعى إلى تبديل النظام الكافر، ولكن أحب أن أعرفك أن معارضة الدولة لنا تزيد من تمسكنا بالجماعة وغايتنا .

إننا لا نقف في وجه رؤوس الدولة فقط، ولكن نقف أيضاً في وجه سياستها وخاصة الإعلامية التي تحاول أن فلنا بعيداً عن الله وشريعته التي ارتضاها لعباده في الأرض. لذلك نحن لنا موقف من هذه السياسة الإعلامية ونحاول أن نقدم البديل الذي يتمثل في الخطب الإسلامية والدروس والندوات. وهذه الأشياء تعتبر وسائل اتصال بين أعضاء الجماعة حيث إنها تتم في المسجد أو في أماكن الاحتكافات. ويضيف صاحب هذه الحالة :

أحب أن أعرفك أن أهداف الجماعة ليست كما يقول الإعلام أنها تسعى إلى تخريب المجتمع. ولكن أهدافها تتلخص في أن الله غايتنا

والرسول زعيمنا والقرآن دستورنا والجهاد سبيلنا والموت في سبيل الله
أسمى غاياتنا. إن تطبيق الشريعة الإسلامية والعمل بالكتاب والسنة وإقامة
الخلافة الإسلامية على منهاج النبوة هي كل شيء، ولا شيء بعدها .

أما عن تنظيم أو شكل الجماعة، فيرى صاحب هذه الحالة أن أمير
الجماعة هو قائد الجماعة، وهو المسئول عن تطبيق سياسة وأهداف الجماعة
التي ذكرتها من قبل. فالأمير هو القوة، ثم يأتي بعد ذلك نائب الأمير، الذي
ينوب الأمير في كل شيء إذا غاب، ثم يأتي بعد ذلك مساعد الأمير في كل
محافظة، والذين يتخصصون في أحد الأمور مثل الاقتصاد وغيره .

أما فيما يتعلق برأي صاحب هذه الحالة في بعض القضايا، فيرى
أنها كلها تتعلق بالاقتصاد. ولما كان المجتمع المصري يحلل الربا ويتوعد من
يعمل بالاقتصاد الإسلامي، فإن الله سوف يفعل بنا أكثر من ذلك. ليس أزمة
واحدة، ولكن أزمات متعددة. إنها حرب بين الله وعباده ولكن لمن ستكون
الغلبة : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم
مؤمنين، فإن لم تفعلوا فأنذروا بحرب من الله ورسوله، وإن تبتم فلكم رؤوس
أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) .

فماذا نتوقع بعد هذه الآية لاقتصاد يحارب الله ورسوله. أما رأيه في
التعليم، وخاصة الفتيات، فيرى أنه لابد وأن يأخذ من الإسلام. ففضل
الإسلام على العلم والعلماء كبير. لماذا نترك الإسلام ونتجه إلى أعدائه. أما
خروج المرأة فإنه يرى أنها خطيئة كبرى، وأنها من فعل الأعداء، شجعوها
على الخروج من منزلها حتى يخرب المجتمع وتنتهي الأخلاق الإسلامية
الأصيلة وتنتشر المفاسد العظمى .

أما موقفه من الصلح مع إسرائيل فيرى أن الجماعة الإسلامية

ترفض الصلح مع إسرائيل والمهادنة مع اليهود، فهم لا عهد لهم ولا صلح معهم. والإنسان العاقل ذو العقلية المتطورة في إطار الإسلام لا يستطيع أن يسلم لهم لأنهم خائنوا من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم في عهدهم معه. فكيف يحفظون عهدهم معكم. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فاليهود استولوا على أرض المسلمين، وقد أجمع العلماء على أنه إذا اعتدى على أي شبر من أرض المسلمين وجبَّ الجهاد، وكان فرض عين على كل مسلم كي تُرد الأرض المسلوبة .

أما رايه في قضية التفاوت الطبقي الذي يشهده المجتمع المصري الآن، فيرى أن هذه القضية يمكن حلها من خلال الإسلام، من خلال كتاب الله سبحانه وتعالى. فعلى سبيل المثال يمكن حل مسألة التفاوت من خلال «الزكاة» حيث جعلها الإسلام حقاً للفقير على الغنى يأخذه منه في موعده حتى يستطيع أن يقاوم متطلبات الحياة المستمرة. إن ركن الزكاة يعتبر نوعاً من العدل الاجتماعي الذي به يأخذ من الغنى ليعطى للفقير. وهناك أيضاً ما يسمى بالتكافل الاجتماعي الذي يطبق حتى تقرب الفجوات بين الناس .

أما موقفه من قضية الديمقراطية فيرى أنها غير موجودة هنا، وإن كانت تعني حكم الشعب بالشعب، والآن نرى حكم الشعب بالأجانب .

أما الرأسمالية والشيوعية فيرى أنها مخالفة للإسلام ولا يحق الحديث عنها .

مما سبق يمكن القول إن الأساس الفكري والنظري للجماعة الإسلامية (التيار الجهادي) ذلك التيار الذي ظهر في أوائل السبعينيات، وأظهر موقفاً معارضاً من النظام السياسي، يتمثل في العودة إلى الأصول وإقامة الدول الإسلامية. إن الجماعة الإسلامية تُعدُّ من الجماعات الدينية

الأصولية التي تسعى إلى إحياء ما يسمى بالخلافة الإسلامية أولاً، ثم تعبيد الناس لرؤيتهم ثانياً، وأن العنف طريق واحد ووحيد لبلوغ هذا الهدف .

ويهم أن نوضح أن حركة الإحياء التي تقوم بها الجماعة الإسلامية ما هي إلا نتاج لمجموعة من العوامل والظروف الاجتماعية التي خبرها المجتمع المصري، فضلاً عن العلاقة بين النظام السياسي (السلطة) وبين هذه الجماعة. إن مجموعة الممارسات الدينية التي أتت بها الجماعة الإسلامية تتباين عن الممارسات الدينية الأخرى سواء الرسمية منها أو غير الرسمية. فبدلاً من الوعظ الديني، جاءت هذه الجماعة بما يسمى بالوعظ الديني «السياسي» الذي يهدف إلى تثير الواقع، وتهديم النظام الحاكم «الكافر» وإقامة الدولة الإسلامية. إن الوعظ الديني «السياسي» الذي تقدمه الجماعة الإسلامية ما هو إلا نوع من الاحتجاج على القيم السائدة، أو بالأحرى هو نوع من الصراع الطبقي بين الفئات الوسطى والفقيرة وبين النظام الحاكم «الدولة» .

وإذا كان هناك من يرى أن الحركات الدينية المعاصرة تنبع من الحدود الهامشية للطبقة الوسطى التي تسكن في الحضر^(١)، فإن مجموعة

(١) يختلف طرحنا هنا للأصول الاجتماعية لأعضاء الجماعة الإسلامية عما توصلت إليه بعض الدراسات الأخرى. في ذلك يمكن الرجوع إلى :

- رفيق حبيب، الاحتجاج الديني...، مرجع سابق، ص ١٣٦ .

- سعد الدين إبراهيم، مصر تراجع نفسها...، مرجع سابق ص ٢٦ .

- Ibrahim S . E . , Anatomy of Egypt's Islamic Militant Groups: Methodological Note and preliminary findings , the Middle east studies Association Meeting , washington D . C , November 6 - 9 , 1980 .

الحالات التي عرضنا لها قبل قليل توضح أنها تمثل الطبقة الدنيا والوسطى
بشرائعها الفقيرة التي تعيش في المدينة ولها أصول ريفية (أنظر الجدول
التالي) .

جدول يوضح الحالة الاجتماعية والعمالية لعينة الدراسة.

م	السن	النوع	الموطن	المزهل	العمل	الحالة	مهنة الوالد
١	٢٧	نكر	إمبابة الفشن	دبلوم معلمين طالب بكلية التربية	مدرس ابتدائي	أعزب	ملاحظ ميكانيكي
٢	٢٠	نكر	(بنى سويف) أبشواى (الفيوم)	بكالوريوس هندسة	لايعمل	أعزب	فلاح
٤	٣٠	نكر	الفيوم (الفيوم)	مزل فنى متوسط	مساعد مهندس	أعزب	موجه ثانوى
٥	٢٥	نكر	الغمر اوى (بنى سويف)	بكالوريوس تربية	مدرس ثانوى	متزوج	تاجر
٦	٢٥	نكر	الفيوم	بكالوريوس زراعة	مهندس زراعى	أعزب	مدرس فلاح

إن الموقف فى مجمل الجدول السابق نستطيع أن نستدل منه على ما

يلى :

أولاً : أن أعضاء الجماعة الإسلامية من الفئات الشابة التى تتحصر أعمارهم بين العشرين عاماً والثلاثين. أى أنهم من الفئات التى تتمتع بقدر كبير من الإحباط من القيم الاجتماعية السائدة التى دفعتهم إلى الانضمام إلى هذه الجماعة والانسحاب من المجتمع .

ثانياً : يغلب على أعضاء الجماعة الإسلامية أنهم من الفئات الحاصلة على قدر كبير من التعليم، إذ يتدرجون من المؤهلات المتوسطة والتعليم «الفنى»، حتى الحصول على الشهادات الجامعية (بكالوريوس الهندسة، والزراعة) .

ثالثاً : يأتى أعضاء هذه الجماعة من الشرائح الدنيا للطبقة البينية (الوسطى) (صغار التجار - والمدرسين)، فضلاً عن بعض الفئات الدنيا (ملاحظ ميكانيكى، فلاح) المهمشة .

رابعاً : تتحدر أصول أعضاء الجماعة الإسلامية من المناطق الهامشية للحضر وكذا المناطق الريفية، تلك التى تتناقض ظروفها الحياتية مع ما هو قائم فى المناطق الحضرية (١) .

(١) هناك تشابه واضح بين خصائص أعضاء الجماعة الإسلامية «تنظيم الجهاد»، التى تتصف سلوكها بالعنف. فى ذلك انظر :

- Guenena N ., the (jihad) : An Islamic Alternative in Egypt, Cairo papers in social science, N. Z. , sept. 1986 .

إن النظرة المدققة لخصائص أعضاء الجماعة الإسلامية يمكن أن تدلنا على أنهم من الفئة الجيلية التي تشكلت وفق ظروف اجتماعية معينة ساهمت في خروجها على النظام القائم، كما أن هذه الظروف - خاصة المتصلة بالسلطة البطركية - أبرزت عدم استقرارها ورفضها للتكيف مع المجتمع. وإذا كان الفاعل الثوري في الأدبيات الماركسية يتمثل في الطبقة العاملة، فإننا هنا، وفقاً للمدرسة النقدية، نجد أننا إزاء قوة ثورية تتمثل في الشباب. بمعنى آخر، إنه إذا كانت البروليتاريا هي القوة المؤهلة للثورة ضد القوى الرأسمالية، فالشباب هنا هم القوة الثورية في مواجهة السلطة البطركية. إن الشباب في مثل هذه المجتمعات هم أكثر الفئات الراضية لتعديل هذا النموذج، ويرجع هذا في تصورنا إلى إدراكهم لطبيعة التفاعل الاجتماعي والأيدولوجي السائد.

لقد سمح للفئات الشابة من أعضاء هذه الجماعة ممارسة العنف في إطار ما هو مقدس (الدين) لتحقيق الذات وإثبات الهوية. فكما يرى البعض، وتوضح بعض الدراسات «أن تحقيق الذات كدافع إنساني يتم إشباعه من خلال ممارسة النشاط الديني، حيث لا يوجد ارتباط بين الانخراط في هذه الممارسات، وبين إشباع الدوافع إلى تحقيق الذات... ويتضح من ذلك، لماذا تنشأ حركات دينية خارج المؤسسة الدينية... خارج الجامع... فجزء من دوافع الإنسان غير المشبعة في حياته الهامشية هو الدافع إلى تحقيق الذات وإثبات الوجود، ولكن الانخراط في المؤسسة الدينية الرسمية لا يتيح للفرد تحقيق وجوده وذاته. فالمؤسسة الدينية ترتبط حالياً بالطبقة الوسطى، أي أن المؤسسة الدينية تتجه تدريجياً للمحافظة على ما حققته، وما حققه

أعضاؤها.. ولم تعد إذن مؤسسة ثورية تعمل على التغيير، وبالتالي لا يحدث تقابل بين طبيعتها وطبيعة الجماعات الهامشية. فالأخيرة تتميز بالدافع إلى المغامرة والرغبة في التغيير والثورة، لأنها مدفوعة إلى تغيير الواقع الذي يرفضها، في حين تحاول المؤسسة الدينية المحافظة على هذا الواقع، لأنه يمثل مكاسب استطاعت تحقيقها. ومن هنا ينشأ التعارض بين الجماعة الهامشية والمؤسسة الدينية»^(١).

إن انضمام الشباب إلى الجماعة الإسلامية يعود في تصورنا إلى عدم استيعاب هذه الأنماط في إطار التضخم الحادث في حجم الطبقة الوسطى، ناهيك عما أصابهم من الإحباط الاجتماعي والديني والشعور بالهامشية التاريخية، أو قل إنها فئات بلا مستقبل. إن الدين بالنسبة لهؤلاء يُعد تعويضاً لهم عن هذه الأشياء وفي مقابلها حقد على المجتمع المسئول عما أصابهم.

إن الجماعة الإسلامية رغم سلوكها الراديكالي، وما تطرحه من تغيرات، إلا أننا نعدّها جماعة عنف، فهي جماعة تطالب بتغيير النظام الحاكم عن طريق العنف، الذي يمثل لهم آلية أساسية. والواقع أن العنف - كآلية - يعبر عن هوية الجماعة الإسلامية، وقد جاء نتيجة الفجوة بين ما تريد الجماعة تحقيقه وواقع المجتمع الفعلي.

Meadow M. J . and Rehoe R. D., psychology of Realigion : (١)
Realigion in Individual, Harper and Row, New york, 1984.

نقلًا عن : رفيق حبيب، الاحتجاج الديني.....، مرجع سابق، ص ١٤٠. يتفق هذا الطرح مع ما جاءت به نعمة جنيّة في بحثها عن تنظيم الجهاد، خاصة في دور المؤسسة الدينية الرسمية التي تسعى إلى تأييد النظام القائم. انظر :

- Guenena N., the (Jihad), Op. Cit.

والمتطلع إلى فكر الجماعة الإسلامية يستطيع أن يكشف عن مدى رفضهم لمختلف ظروف المجتمع، حيث يكون الرفض مسئولاً بصفة رئيسية عن تحديد موقف هذه الجماعات. فمن خلال رفضهم للمجتمع الإسلامي، تسمى الجماعة إلى تأسيس مجتمع آخر يستند إلى الخلافة الإسلامية. وتمثل هذه الجماعة مراحل تكون الجماعات الإسلامية التي تبدأ من مواجهة الواقع ورفضه، إلى البحث عن المجتمع البديل. إن المجتمع البديل من وجهة نظر الجماعة الإسلامية يستمد أسسه وتكوينه من خلال القرآن وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم (١).

ومن خلال ذلك نستطيع أن نميز بين هذه الجماعة وغيرها من الجماعات الأخرى. فبينما ترى هذه الجماعة ضرورة إيجاد المجتمع الإسلامي البديل، وتلجأ إلى العنف كوسيلة لتحقيق أهدافها، فإن هناك جماعات أخرى ترى ضرورة تكوين هذا المجتمع، ولكن عن طريق الانعزال. أى أن الصراع السياسى يصبح فى الأولى واضحاً، بينما فى الثانية يتمثل فى الانسحاب من الواقع ولكن مع استخدام الألفاظ العنيفة خاصة فى تكفير المجتمع.

ويكشف تحليل حالات الدراسة أن النص عند الجماعة الإسلامية هو المستند والأساس الفكرى لها، فمن خلاله يتم تحليل الواقع ورفضه، وتعاند

(١) هناك اتفاق واضح فى نفس الطرح والنتائج فى :

— جيلز كيبل، النبى والفرعون، ترجمة أحمد خضر، مرجع سابق، ص ١٢٧ .

— أمينة الجندى، التطرف بين الشباب : كيف يفكر قادة طلاب الجامعات المصرية، دراسة

ميدانية، المنار (مجلة)، العدد ٥١، مارس ١٩٨٩، ص ٦٤ .

به النظام الحاكم وتهدده. فالفقه سيد التاريخ وحاكمه. إن خطاب هذه الجماعة يكشف عن وعى وإدراك للواقع من خلال النص، إذ يبرز عن «بوجماتيقا» عقلية ومرجعية تراثية متشددة من خلال الألفاظ لمخاطبة العقل الجمعى الانفعالى حسب تعبير دوركايم .

ويتضح من أفكار الجماعة الإسلامية أن وعيهم تشكّل وفق رؤية خاصة للدين، تلك التى تجعل العضو مؤمناً بوجماتيقيا «متشدداً» يفرض التعصب على الفكر والسلوك. إن تعصب أعضاء الجماعة الإسلامية يكشف عن وجود عقل معطل ووعى مغلق يبتعد تماماً عن العقلانية. ولما كان عضو الجماعة يستند فى رؤاه على النص والتراث باعتباره الإطار المرجعى، فإنه وفق هذا النص يستند إلى أيديولوجيا تقف حائلاً أمام التفكير العقلانى وتسعى إلى تزييف الوعى. إن الجماعة الإسلامية لا تضع حدوداً فى انفلاقها الفكرى، فهى بهذا الفكر تخاصم الواقع وتتحداه، وتسعى إلى الإتيان بالنظام المحجوز «الدولة الإسلامية». إن العنف هنا يعنى أن هناك علاقة عدائية مع الواقع، علاقة مع الخروج عن الإسلام وفق تكييفه لهم، أى أنه عنف ضد أهل الحرب «الدولة» .

ويلاحظ أيضاً من خلال هذه الجماعة أن حركتها بعيدة كل البعد عن الجماهير الكادحة وخاصة المزيفة الوعى، وأنها تتسامى عن الجماهير، وبينها وبين الواقع انفصال واضح، كما أن خطابها يتسم بالطابع الأخلاقى والعاطفى والوعظى .

إن استخدام العنف من خلال الجماعة الإسلامية حولها إلى تنظيم سرى، أو قل إنها حركة سياسية أكثر من اعتبارها حركة دينية. ويمكن فى

هذا الإطار أن نذهب إلى أن هناك ارتباطاً بين الجماعة الإسلامية والعنف الدينى على ما تتخذه الأجهزة الأمنية مع أعضاء التيار الجهادى. إن العنف من قبل الأجهزة الرسمية، هو الذى ولد العنف ضدها، وجعلها تتخارج من النظام القائم، وتدخل أو تتمازج مع ما يسمى بالاصولية .

إن إحداث العنف إزاء نشاط وفكر الجماعة الإسلامية توضح أن الدين فى الوقت الراهن يُعدُّ أحد العناصر المهمة فى تفجير الحركات الاجتماعية. إن الدين وما ينتج عنه من عنف، يعتبر رد فعل مباشر وفورى للمشكلات الاجتماعية القائمة فى الواقع. لذا يمكن الدفع بأنه يُعدُّ أحد أشكال الصراع الطبقي المستند إلى الأصول والسلف كإطار أيديولوجى. إن العنف الدينى الذى يطلق عليه الجهاد هو فرض عين من وجهة نظر الجماعة الإسلامية، وهو أدواتها من أجل إقامة الخلافة الإسلامية .

إن فكر الجماعة الإسلامية هو بمثابة رد فعل إسلامى أمام قُوى وقيم التغريب بكل أشكالها، أو هى بالأحرى دفاع عن الذات أمام قيم العلمانية التى أخفقت أشكالها السياسية فى مصر منذ عام ١٩٥٢ حتى الآن. أو بمعنى آخر، أن الجماعة الإسلامية وفق أطروحاتها، تُعتبر ردُّ فعلٍ ثقافى، أو ردةً على كل الأيديولوجيات التى وفدت إلى مصر عن غير طريق الفكر الإسلامى .

خاتمة

————— **نحو رؤية سوسيولوجية للعنف الديني** —————

إن دراسة الدين من خلال مفاهيم علم الاجتماع تشير إلى أن الدين يُعدُّ أحد موجّهات الحركات الاجتماعية التي تسعى إلى تبديل المنظومة الاجتماعية الاقتصادية في أى واقع اجتماعى، وذلك باعتبار الدين استجابةً لظروف اجتماعية اقتصادية وسياسية وثقافية معينة. إن الدين وفق ذلك يُعدُّ من أهم الآليات لنقد الواقع القائم، ومن ثمّ فهو نوع من الصراع الطبقي .

ومن الأهمية بمكان أن نفرق بين الدين الرسمي وغير الرسمي. فالأول يسعى إلى تأييد النظام الاجتماعي القائم، بينما الآخر يسعى إلى هذا النظام واستبداله بآخر يستند إلى التراث والسلف. إن هذا النوع يعد حركة ذات حنين للماضى يسعى إلى الهروب من المجتمع، أو الانسحاب من عذابات الحاضر إلى أمجاد الماضى، الأمر الذى يجعلنا نصفها بأنها ذات رؤية ماضوية تسعى إلى إعادة تنظيم المجتمع من خلال حركتها الجهادية «الثورية» .

وتعتبر الجماعة الإسلامية - من خلال رؤيتها - حركةً أصوليةً تطرح نفسها كبديلٍ عن الأيديولوجيات «الأرضية» التي عرفها المجتمع المصرى. لذا نجد أنها تطرح ذاتها بقوةٍ لتخليص المجتمع من السيطرة البطركية للدولة وتحولها إلى الشكل الإسلامى. إن بروز الجماعة الإسلامية، كحركة سياسية

ذات غطاء ديني، يوضح ما ينتاب المجتمع من أزمة وتناقض واضحين سواء على مستوى البنية التحتية أو على صعيد المستوى الفوقي .

إن النزعة السلفية التي تطرحها الجماعة الإسلامية تُعدُّ أحد الردود الفكرية والأيدولوجية المناهضة للنظام السياسي الحاكم في مصر. ليس ذلك فحسب، بل هي أيضاً تعد رداً مباشراً على ما أصاب المجتمعات الإسلامية من انهيار واضح. بمعنى آخر أن أرثوذكسية الجماعة الإسلامية تجعلها تتشابه مع الحركات الشعبية التي عرفها القرن الأول الهجري، ولكن هذا التشابه يعتبر ناقصاً لأن فيه انفصلاً واضحاً عن الجماهير .

إن القطيعة مع الجماهير تعود - في تصورنا - إلى مجموعة العقائد المتشددة التي تنتهجها الجماعة الإسلامية. فهناك انفصال واضح بين الفكر والممارسة، لذا يمكن وصفها بأنها جماعة سياسية دينية منكفئة على ذاتها .

إن الخطاب الديني للجماعة الإسلامية يبتعد عن النوات الفاعلة التي من شأنها أن تأتي بالنظام المحجوز (الخلافة الإسلامية). لذا يمكن القول عنه إنه مجرد أيديولوجيا تراثية لواقع اجتماعي حديث آخر. إن الخطاب الإسلامي ما هو إلا قناع يستر دوافع واتجاهات سياسية، أو بالأحرى هو نوع من الأيديولوجيا المستترة .

إن هذا النوع من الأيديولوجيا يُعدُّ محاولةً للربط بين قضيتي التاريخ والحاضر. إن الخطاب الإسلامي وفق هذا المعنى ما هو إلا مجموعة من الطقوس والقيم الإسلامية التي تسمى إلى البحث عن نموذج - غير موجود في الواقع - مؤسس على شرع الله. أي أن هذا الخطاب ما هو إلا محاولة

لتشكيل وعى أو إدراك الواقع وفق رؤية عقائدية متشددة. وبفض النظر عن طبيعة وشكل الخطاب الإسلامى، فإن ما نريد أن نشدد عليه هنا أن هذا الخطاب بسحنته التى قدمناها، يعد نتاجاً لشروط مادية وفكرية ومجتمعية. فهو جاء من خلال مواقف تاريخية - اجتماعية تأثرت به وأثرت فيه. بمعنى آخر، إن هذا الخطاب لم يستطع أن يخرج إلى الوجود لولا ما شهدته الواقع الاجتماعى فى مصر من تناقضات، خاصة فى البنية التحتية وما تحويه من علاقات صراعية بين الطبقات الاجتماعية .

إن عملية إعادة إنتاج التفاعلات الاجتماعية بين أصحاب الخطاب الدينى وجهاز الدولة سمحت بالتعرف على وعى وفكر الجماعة الإسلامية. إن الجماعة الإسلامية وفق ذاتها المرجعية تدير حواراً عنيفاً مع النظام الحاكم من خلال ما يسمى بالجهاد. إن الجهاد الدينى الذى تفرزه الجماعة الإسلامية هو نوع من الإصلاحات الثقافية والأخلاقية أكثر منه ثورة أو حتى انتفاضة بالمعنى السوسيولوجى .

إن الدراسة الراهنة تكشف عن أن أعضاء الجماعة الإسلامية من الفئات الشابة المتعلمة التى تجابه كمأ هائلاً من الإحباطات الاجتماعية وأنهم ينحدرون من الشرائح الدنيا للطبقة الوسطى، الذين يقطنون المناطق الطرفية، كما أنهم يخضعون لتنظيم رئاسى متدرج يبدأ من الأمير العام للجماعة، ثم نائب الأمير، إلى أمراء المحافظات، ومسئولى التخصصات المختلفة (الاقتصاد، السياسة، التدريب القتالى... إلخ) .

إن الجماعة الإسلامية وفق كل ما قدمناه نعتبرها من جماعات العنف

التي تضفي على ذاتها نوعاً من القداسة، وتحت عباءة هذه القداسة تأتي مهمتهم الأساسية، ألا وهي تغيير النظام الحاكم. إن العنف؛ كإطار سياسي يوجه الجماعة الإسلامية، يكشف عن معاندتها للنظام الحاكم (الكافر حسب تعبيرها) ورفضها للواقع المعاش (دار الحرب) .

إن محاولات الإصلاح الثقافي والأخلاقي التي تقوم بها الجماعة الإسلامية من خلال ممارسات الوعظ الديني السياسي تجعلنا نسلم مع أصحاب المدرسة النقدية بضرورة خلع الطبقة الثورية عن الطبقة العاملة، وأنه في مواجهة المجتمعات التي تسودها السلطة البطركية فإن الشباب هم وقود الثورة ومحركها. إن هذه المقولة تجعلنا نعيد النظر في تراث علم الاجتماع السياسي، خاصة في تأويله في ضوء ظروف المجتمعات النامية .

المراجع والمصادر

أولاً- باللغة العربية:

- ١ - إسماعيل صبرى عبد الله (محرر)، الحركات الإسلامية المعاصرة فى الوطن العربى، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٧ .
- ٢ - المنصف وناس، الدين والدولة فى تونس ١٩٥٦ - ١٩٨٧ ، المستقبل العربى (مجلة)، العدد ١٣١، بيروت ١٩٩٠ .
- ٣ - أميليو لوسيو، نظرية الانتفاضة، ترجمة جوزيف عبد الله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د . ت .
- ٤ - أمينة الجندى، التطرف بين الشباب : كيف يفكر قادة طلاب الجامعات المصرية : دراسة ميدانية، المنار (مجلة)، العدد ٥١، مارس ١٩٨٩ .
- ٥ - زكى على الربيعو، مدخل إلى ظاهرة العنف فى الخطاب السياسى السلطوى، الوحدة (مجلة)، السنة السابعة، العدد الثامن، يونيو ١٩٩١ .
- ٦ - چيلز كيبل، النبى والفرعون، ترجمة أحمد خضر، مكتبة مديولى، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٨ .
- ٧ - حيدر إبراهيم على، ملاحظات أولية فى دراسة الأسس

الاجتماعية للظاهرة الريفية، المستقبل العربى (مجلة)، العدد ١٢٦، بيروت،
أغسطس ١٩٨٩ .

٨ - _____ ، أزمة الإسلام السياسى : الجبهة الإسلامية
القومية فى السودان نموذجاً، مركز البحوث العربية، الطبعة الأولى، القاهرة
١٩٩١ .

٩ - رفعت سيد أحمد، الدين فى الخطاب السياسى الناصرى، المنار
(مجلة)، العدد السابع، السنة الأولى، القاهرة، يوليو ١٩٨٥ .

١٠ - رفيق حبيب، الاحتجاج الدينى والصراع الطبقي فى مصر،
دار سينا للنشر، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٩ .

١١ - _____ ، الإحياء الدينى : ملف اجتماعى للقيادات
المسيحية والإسلامية فى مصر، الدار العربية للطباعة والنشر، الطبعة
الأولى، القاهرة ١٩٩١ .

١٢ - سعد الدين إبراهيم، مصر تراجع نفسها، دار المستقبل
العربى، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٣ .

١٣ - سليم نجيب، خواطر قبطية، الأقباط (مجلة)، العدد ٢، السنة
السابعة، الولايات المتحدة الأمريكية، سبتمبر ١٩٨٠ .

١٤ - سمير نعيم أحمد، المحددات الاقتصادية والاجتماعية للتطرف
الدينى، حالة مصر، المستقبل العربى (مجلة)، العدد ٣١، بيروت ١٩٩٠ .

- ١٥ - شحاتة صيام، التشكيلة الطبقية فى المجتمع المصرى : رؤية
سوسيولوجية تاريخية، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى،
القاهرة ١٩٩٢ .
- ١٦ - صابر أحمد نائل، حول ظاهرة العنف الدينى، اليقظة العربية
(مجلة)، العدد الرابع، القاهرة، مايو ١٩٨٨ .
- ١٧ - صلاح الجورشى، الحركة الإسلامية : مستقبلها رهينة
التغيرات الجذرية، فى : عبد الله (النفيس محرراً)، الحركة الإسلامية : رؤية
مستقبلية.. أوراق النقد الذاتى، مكتبة مديولى، الطبعة الأولى، القاهرة
١٩٨٩ .
- ١٨ - عاطف العقلة عضيات، الدين والتغير الاجتماعى فى المجتمع
العربى الإسلامى : دراسة سوسيولوجية، المستقبل العربى (مجلة)، العدد
١٢٦، بيروت، أغسطس ١٩٨٩ .
- ١٩ - عبد العليم محمد، ملاحظات نقدية حول دراسة الخطاب
السياسى، المنار (مجلة) العدد السابع، السنة الأولى، القاهرة، يوليو ١٩٨٥ .
- ٢٠ - عبد الله العروى، الأيديولوجيا العربية المعاصرة، دار الحقيقة،
الطبعة الأولى، بيروت ١٩٧٩ .
- ٢١ - على ليلة، الشباب فى مجتمع متغير : تأملات فى ظواهر
الإحياء والعنف، مكتبة الحرية الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى،
القاهرة ١٩٩٠ .

- ٢٢ - فرج فودة، التطرف الدينى السياسى فى مصر، فكر (مجلة)،
العدد ٧، القاهرة، نوفمبر ١٩٨٥ .
- ٢٣ - فؤاد زكريا، الحقيقة والوهم فى الحركة الإسلامية المعاصرة،
دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٨٦ .
- ٢٤ - _____، مستقبل الأصولية الإسلامية، فكر (مجلة)، العدد
الرابع، القاهرة، فبراير ١٩٨٥ .
- ٢٥ - محمد أحمد بيومى، علم الاجتماع الدينى، دار المعرفة
الجامعية، الإسكندرية ١٩٨١ .
- ٢٦ - _____، ظاهرة التطرف : الأسباب والعلاج، دار
المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٢ .
- ٢٧ - محمد أركون، الفكر العربى، ترجمة : عادل العوا، ديوان
المطبوعات الجامعية، الجزائر ١٩٨٢ .
- ٢٨ - _____، الفكر الإسلامى : قراءة علمية، مركز
الإنماء العربى، بيروت ١٩٨٧ .
- ٢٩ - محمد حافظ دياب، سيد قطب : الخطاب الإسلامى
والأيديولوجيا، دار الثقافة الجديدة، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٧ .
- ٣٠ - محمد مورو، تنظيم الجهاد، جذوره وأسواره، الشركة العربية
الدولية للنشر والإعلام، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩٠ .
- ٣١ - محمود أمين العالم، الدين والسياسة، قضايا فكرية، الكتاب
الثامن، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، أكتوبر ١٩٨٩ .

- ٣٢ - مراد وهبة، الأصولية والعلمانية في الشرق الأوسط، المنار (مجلة)، العدد ٤٩، القاهرة، يناير ١٩٨٥ .
- ٣٣ - مهدي عامل، نقد الفكر اليومى، دار الفارابى، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٧٨ .
- ٣٤ - نبيل عبد الفتاح، المصحف والسيف : صراع الدين والدولة في مصر، مكتبة مدبولى، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٤ .
- ٣٥ - هالة مصطفى، الإسلام السياسى فى مصر : من حركة الإصلاح إلى جماعات العنف، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، الأهرام، القاهرة ١٩٩٢ .
- ٣٦ - هشام شرابى، البنية البطركية : بحث فى المجتمع العربى المعاصر، دار الطليعة، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٧ .
- ٣٧ - هناء الجوهري، الأعمال الإضافية غير الرسمية لدى العاملين بالحكومة، تحليل سوسيولوجى للظاهرة وعلاقتها بعملية التنمية فى المجتمع المصرى، رسالة ماجستير «غير منشورة»، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٨٩ .

ثانياً - باللغة الأجنبية:

- 1- Dekmejian R. H. , Islam in Revolution : fundomentalism in the Arab world , Syracuse univ . press , 1982 .
- 2 - Guenena N., the (Jihad) : An Islamic Alternative in Egypt, Cairo papers in social science , N. Z., Sept ., 1986 .
- 3 - Ibrahim S. E., Anatomy of Egypt's Islamic Militant Groups : Methodological Note and preliminary findings , the Midd le east studies Association meeting, Washington D. C, Nov . 6 - 9 , 1986 .
- 4- Meadow M. J. and Rehoe R. D., Psychology of Realigion : Realigion in Endividual Lives , Harper and Row , New york , 1984 .

الفهرس

١١	مقدمة نظرية ومنهجية
	الفصل الأول : التيار الجهادى فى مصر:
٢٧	النشأة والتطور والتنظيم
٢٩	تمهيد
٣٦	أولاً : الارماصات الأولى لتكوين الجماعة الإسلامية
٤١	ثانياً : نشاط الجماعة الإسلامية
٤٣	ثالثاً : وضع خطة التنظيم وجمع المعلومات وأحكام السرية
٤٤	رابعاً : تمويل التنظيم
٤٥	خامساً : تسليح التنظيم
٤٥	سادساً : تدريب أعضاء التنظيم
٤٦	سابعاً : محاولة تفسير دستور الدولة وقلب نظام الحكم
٤٧	ثامناً : أفكار تنظيم الجهاد : وجهة نظر الحاكم
٥٢	تاسعاً : أفكار الجماعة الإسلامية : وجهة نظر أخرى
	عاشراً : الأسباب المجتمعية التى دفعت
٥٥	الجماعة الإسلامية لمواجهة المجتمع

الفصل الثانى : خطاب الجماعة الإسلامية فى مصر

- ٦١ التصورات النظرية والأيدىولوجية
- ٦٣ أولاً : مفهوم الخطاب الإسلامى ودلالاته
- ٦٧ ثانياً : الخطاب الدينى : وظائفه وعلاقته بالواقع
- ٧٠ ثالثاً : التحليل الكيفى للخطاب الإسلامى
- ٨٥ رابعاً : مضمون الخطاب الإسلامى : ملاحظات نقدية

الفصل الثالث : نماذج الإسلام السياسى

- ٩١ من التراث إلى العنف
- ٩٣ مقدمة
- ٩٥ الحالة الأولى : من تكفير المجتمع إلى الجهاد
- ١٠٧ الحالة الثانية : من الحرمان الاجتماعى إلى الوعى الدينى
- ١١٥ الحالة الثالثة : الفراغ الأيدىولوجى والقطيعة مع المجتمع
- ١٢٣ الحالة الرابعة : الاغتراب السياسى والعودة إلى الأصول
- ١٣١ الحالة الخامسة : من التعاطف الدينى إلى الثورة
- ١٣٧ الحالة السادسة : من أزمة المجتمع إلى التراث
- ١٥٣ خاتمة : نحو رؤية سوسىولوجية للعنف الدينى

المراجع والمصادر

- ١٦٠ أولاً : باللغة العربية
- ١٦٥ ثانياً : باللغة الأجنبية

العنف والخطاب الديني في مصر

ظاهرة العنف إحدى الظواهر التاريخية، وشكل من أشكال التمرد الاجتماعي، وإحدى أهداف الأيديولوجيا، لترسيخ قيم معينة في الواقع السياسي والاجتماعي.

وتعاطم العنف من قبل الجماعات الدينية في المجتمع المصري، هو نوع من الأيديولوجيا التي تحاول أن تعيد إنتاج العلاقات الاجتماعية وصياغة التغيير الاجتماعي.

والإسلام السياسي بوصفه استجابة لظروف اجتماعية اقتصادية سياسية وثقافية معينة، هو أحد موجّهات الحركات الاجتماعية التي تسعى إلى تبديل المنظومة الاجتماعية.

من خلال رؤية سوسيولوجية لظاهرة العنف المتنامي يرصد الدكتور شحاته صيام مفردات خطاب الجماعات الدينية التي تنوب عن الجماهير، محاولة تشكيل وعي وإدراك الواقع وفق رؤية متشددة تربط بين التاريخ والحاضر. هذا الخطاب الذي نما عبر واقع اجتماعي متناقض البنية التحتية، وما تتضمنه من علاقات صراعية بين الطبقات



0646442

سينا
للنشر

